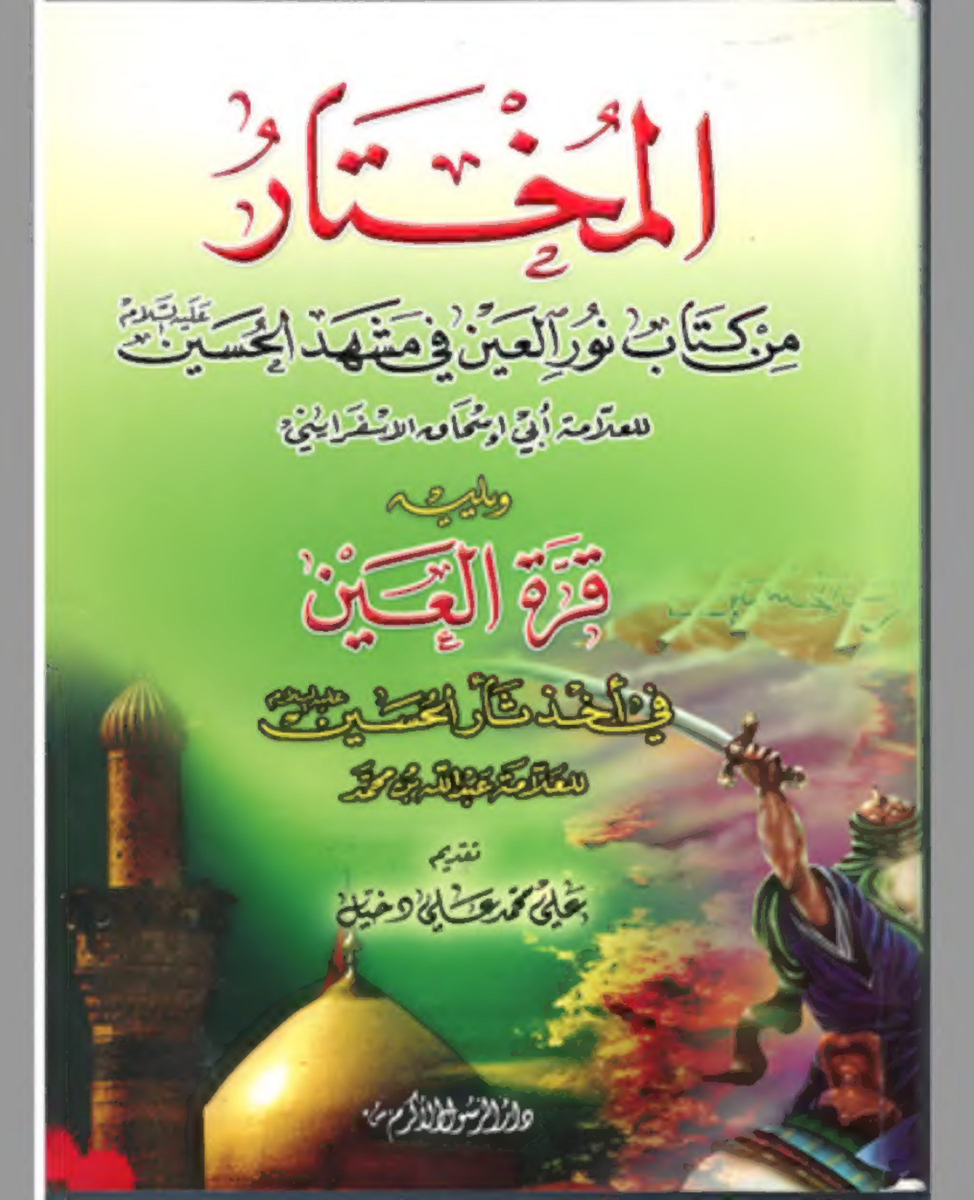

المختار
من كتاب نور العين في مشهد الحسين عليه السلام
للعلامة أبي إسحاق الإسفراييني
ويليه
قرة العين
في أخذ ثأر الحسين عليه السلام
للعلامة عبد الله بن محمد
تقديم
علي محمد علي دخيل
دار الرسول الأكرم



المُختار

مِن كتابِ نورِ العين في مشهد الحسين عليه السلام

ويليه

قرة العين

في أخذ ثار الحسين عليه السلام


بسم الله الرحمن الرحيم

المختار

من كتاب نور العين في مشهد الحسين عليه السلام

للعلامة أبي إسحاق الاسفرايني

وبليه

قرة العين

في أخذ ثار الحسين عليه السلام

للعلامة عبد الله بن محمد

تقديم

علي محمد علي دخيل

دار الرسول الأكرم (ص)

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

دار الرسول الأكرم (ص) : طباعة - نشر - توزيع

حارة حريك - شارع القسيس - خلف البلدية - ص.ب.: ١١/٨٦٠١ بيروت - لبنان

هاتف: ٠٣/٨١٤٢٩٤ - تلفاكس: ٠١/٥٤١٩٣٠ - E-mail: daralrasool@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

ومعاوية على ما به من بعد عن معالم الإسلام، وانتهاك لحرمة القرآن ومخالفة لسيرة الرسول الأعظم ﷺ كان يقيم الفرائض، ويحجّ البيت، ويكرم الصحابة، ويتبجح بكتابته للرسول ﷺ ونقل ما سمعه منه، فالصبغة الإسلامية موجودة ـ نسبياً ـ على الدولة، والمظاهر الدينية تسود المجتمع.

واستلم يزيد الحكم في أواسط سنة ستين للهجرة، وتغيّر كل شيء؛ فهو مخلوق ممسوخ، وعالم غريب في العقيدة والتفكير والعمل، فلم يعرف له حديث دين، أو استنان بسنة، وكان أبوه لما يرى من مجونه وخلاعته وشرابه ولياليه الحمراء لا يراه أهلاً لمنصب الخلافة الخطير، فكان يقول: لولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي.

وصدق الرجل، فهواه أوقعه في ورطة للمسلمين عظيمة، ما كان أغناهم وإياه عنها.

ولست الآن بصدد أن أعرض عليك مخازي هذا الرجل وانحرافه، فليس هناك من لم يبلغه ذلك، ويكفي في خزيه قوله:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

وأول عمل قام به يزيد بعد استلامه للحكم: أن كتب إلى عامله على المدينة ـ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ـ خذ الحسين، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً، ومن أبى فاضرب عنقه، وابعث إليَّ برأسه[1].

والسؤال الذي يتوجه: لماذا لم يبايع السبط ليزيد، وبذلك يحقن دمه الزكي، ودماء أهل بيته وأصحابه، كما بايع أخوه الحسن عليه السلام من قبل لمعاوية؟

ونقول في الجواب: سبق لنا القول في الفارق بين معاوية ويزيد، ومبايعة السبط ليزيد هي إقرار بالوضع، ورضى بهذا المصير، ثم هي بعد ذلك القضاء على الإسلام، وسحق الروح المعنوية للمسلمين، وإماتة الشعور الديني عندهم، إذ هم ينظرون إلى سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وابن أمير المؤمنين عليه السلام، وسيد شباب أهل الجنة، يبايع ليزيد طائعاً، ونصب عينيه قول جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من رأى سلطاناً جائراً فلم يغيّره فليتبوأ مقعده من النار.

وأي سلطان أسوأ من سلطان يزيد بن معاوية، ومن أحق بالتغيير من ابن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وسادن الإسلام[2]. ومن عرف سيرة يزيد ومبلغ عقيدته، أيقن بأنه لو تمّ له الأمر، واستتّب له الحكم، لقضى على الإسلام فضلاً عن تشجيعه على مسخه ونبذه، لبعده عن العقيدة، ونزولاً لأحقاده

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١/ ١٧٨.

(٢) قال الأستاذ عبد القادر أحمد اليوسف في كتابه (الحسن بن علي): ولتكن للقارىء فكرة مبدئية: على أن الحسن بن علي، وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما تلاه من الأئمة المعصومين، يعتبرون أنفسهم أحق من غيرهم، لا بل هم المكلفون بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنشر الإسلام، والمحافظة على السنن والشرائع المحمدية، لما لهم من وشائج القربى ونقاوة النفس، وتفهم التنزيل.

المتوارثة، فتعيَّن على سيد الشهداء أن لا يبايع، فخرج من المدينة تفادياً من التصادم الذي قد يحدث مع حكامها، لاسيما وقد أمر يزيد بقتله إن لم يبايع، وإشارة مروان بن الحكم على والي المدينة بقتل الحسين عليه السلام إذا امتنع عن البيعة، خرج عليه السلام بأهله واخوته إلى مكة، حرم الله الذي من دخله كان آمناً، ولكن يزيد أرسل عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر، وأمّره على الحاج، وولاه أمر الموسم، وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجد[1].

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ١٩٣.

خروج الحسين عليه السلام من مكة المكرمة

فكان لا بد له أن يخرج من مكة أيضاً تفادياً للاصطدام، ورغبة في السلم، وخوفاً من أن تنتهك حرمة البيت، وكان خروجه منها يوم التروية ـ ثامن ذي الحجة ـ وحلّ من إحرامه وجعلها عمرة مفردة.

وبقي سؤال: عن سبب توجهه إلى الكوفة دون سائر الأمصار، فهب أنه خرج من مدينة جده الرسول صلى الله عليه وآله خائفاً، وطورد في مكة فخرج منها كارهاً. فلماذا اختار الكوفة على البصرة واليمن ومصر والشام.

فالبصرة وإن كانت ثغر العراق الباسم، إلّا أن أهلها شيع وأحزاب، ولعل أعداء أهل البيت عليهم السلام الذين فيها، مضافاً لحكامها وأعوانهم، أكثر عدداً، وأقوى عدة من الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

واليمن لا يمكن أن يختارها سيد الشهداء عليه السلام، لما هم فيه من الضعف، فهم لم يثبتوا لغارة بسر بن أبي أرطأة وجيشه القليل، حتى عاث في الأرض فساداً، قتل من قتل، ونهب ما نهب.

ومصر، فمنذ أن استولى عليها عمرو بن العاص، وقتل بها محمد بن أبي بكر ـ عامل أمير المؤمنين عليه السلام عليها ـ فقد أحكموا فيها أرجلهم،

معتبرينها في المرتبة الثانية بعد بلادهم ـ الشام ـ يشاركهم من فيها من العثمانيين، والحاقدين على أهل البيت عليهم السلام.

والشام، وهي بيد أعدائه، وبها جيوشهم ومعسكراتهم.

من هذا يتضح اختيار الحسين عليه السلام للكوفة على بقية الأمصار الإسلامية، مضافاً إلى كونها شيعية النزعة، وعاصمة أمير المؤمنين عليه السلام وولده الحسن عليه السلام، والبلد الذي نكبه الأمويون، فقد قتلوا خيارها ووجوهها، كحجر بن عدي الكندي وأصحابه، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وجمهور كبير من صلحائها وزعمائها، قتلهم زياد بن أبيه، والمغيرة بن شعبة وغيرهما من عمال معاوية وأذنابه.

وفي الوقت الذي تغلق فيه المنافذ في وجه سيد الشهداء عليه السلام، ولم يبق أمامه سوى الكوفة، نجدها مسبقة العلاقة بالحسين عليه السلام، فقد كتبوا إليه في عهد معاوية يستنهضونه على الانتفاضة عليه، ولكنه عليه السلام اعتذر لأن بينه وبين معاوية عهداً وهو لا ينقض العهد.

قال الشيخ المفيد عليه الرحمة: روى الكلبي والمدائني وغيرهما من أصحاب السيرة قالوا: لما مات الحسن عليه السلام تحركت الشيعة بالعراق وكتبوا إلى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم، وذكر أن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدة[1].

وبعد تولي يزيد الحكم، أخذت وفودهم وكتبهم تترى على الحسين عليه السلام حتى اجتمع عنده إثنا عشر ألف كتاب[2].

---

(١) الإرشاد، ص٢٠٠.

(٢) مثير الأحزان لابن نما، ص١٦. أبصار العين، ص٥. مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ١٦٣. لواعج الأشجان، ص٢٩. وفي الأخبار الطوال، ص٢٠٠، فتتابعت عليه في أيام رسل أهل الكوفة من الكتب ما ملأ منه خرجين.

الحسين عليه السلام
يرسل مسلم بن عقيل الى الكوفة

أرسل الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل، ممثلاً عنه، وسفيراً له واستجابت الكوفة لسيد الشهداء، ودخلوا في بيعته أفواجاً. وبلغ عدد المبايعين له ثمانة عشر ألفاً، وبقي والي يزيد ـ النعمان بن بشير ـ معزولاً عن الناس في قصره، لا يشهدون معه جمعة ولا جماعة، وكتب مسلم إلى الحسين عليه السلام قبل مقتله بسبع وعشرين ليلة «أنّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي»[1].

وفي الوقت الذي يكتب فيه مسلم للحسين عليه السلام باستتباب الأمر في الكوفة، ويستحثه على المجيء إليها، يرسل يزيد إلى مكة من يغتال الحسين ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، فكان لا بد له من الخروج.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم، ص.١٦٨ وجميع كتب السير والمقاتل.

الحسين عليه السلام يخبر أصحابه بمقتل مسلم عليه السلام

خرج الحسين عليه السلام بأهله وصحبه ميمماً نحو الكوفة، وفي الطريق توافيه أنباء انقلاب الكوفة، ومقتل مسلم بن عقيل وغيره من أصحابه وأنصاره، وأعلن عليه السلام النبأ على الجمهور الذين كانوا معه، ليتبينوا الطريق بعد أن أصبح شائكاً.

قال المفيد رحمه الله: فأخرج للناس كتاباً فقرأه عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنه أتانا خبر فظيع: قتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف، في غير حرج، ليس عليه ذمام[1].

وفعلاً انسحب قسم ممن التحق به من الأعراب الذين خفُّوا معه آملين أن يكونوا من أنصار الدولة الجديدة، ليحصلوا ربحاً، أو يغنموا مكسباً.

وفي الوقت الذي توافي الحسين عليه السلام هذه الأنباء، يقطع عليه الطريق أيضاً فقد أرسل عبيد الله بن زياد الحصين بن نمير ـ صاحب شرطته ـ فنزل القادسية، ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى

(١) جلاء العيون: ج٢: ص١٥٢.

القطقطانية، ويأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام، وإلى طريق البصرة، وفعلاً التقى عليه السلام مع طلائع ذلك الجيش، يقوده الحر بن يزيد الرياحي، وأخذ الحر يمانعه في المسير، ثم اتفقا على أن يسلك عليه السلام طريقاً لا يرجعه إلى المدينة ولا يدخله الكوفة.

وصول الحسين عليه السلام إلى كربلاء

سار الحسين عليه السلام والحر يسايره حتى أورده كربلاء، فكانت نهاية المطاف، وكانت أرض الشهادة، وكانت مهد البطولات.

كتب المقاتل

والحديث في هذا الكتاب، أو بالأحرى آلاف الكتب التي كتبت في مقتله عليه السلام وسيرته، علماً أنها لم تقتصر على المؤلفين من شيعته، بل شاركهم العشرات من غيرهم من علماء المسلمين، وعلى رأسهم العلامة (الخوارزمي) في مقتله الذي جاء في جزئين

مراثي السبط الشهيد

وأيضاً: إنّ مواكب الشعراء الذين رثوا الحسين عليه السلام، فليس لهم عدّ ولا حصر؛ إنّ الحسين عليه السلام لم يزل وأهل بيته وأنصاره صلوات الله عليهم أجمعين على الثرى، لا مغسلين ولا مكفنين وابتدأت هذه المواكب.

لقد مرّ بكربلاء سليمان بن قتّة بعد قتل الحسين عليه السلام بثلاث فنظر إلى مصارعهم؛ واتكأ على فرس عربيّة وأنشاء يقول:

مررت على أبيات آل محمد	فلم أرها أمثالها يوم حلّت
ألم تر أنّ الشمس أضحت مريضة	لقتل حسين والبلاد أقشعرّت
وكانوا رجاء ثم أضحوا رزيّة	لقد عظمت تلك الرزايا وجلّت
وتسألنا قيس فنعطي فقيرها	وتقتلنا قيس إذا النعل زلّت
وعند غنيّ قطرة من دمائنا	سنطلبها يوما بها حيث حلّت
فلا يبعد الله الديار وأهلها	وإن أصبحت منهم برغم تخلّت
وإنّ قتيل الطف من آل هاشم	اذلّ رقاب المسلمين فذلّت
وقد أعولت تبكي السماء لفقده	وأنجمنا ناحت عليه وصلّت[1].

(١) أدب الطف: ١/ ٥٤.

أيضاً: رثاه صلوات الله وسلامه عليه جمع من الشعراء قبل دفنه أو بعده بقليل، نذكر منهم على سبيل المثال:

التابعي الكبير عوف بن عبد الله الأزدي، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، والتابعي الجليل خالد بن معدان الطائي، وعقبة بن عمرو السهمي[1].

وأيضاً رثاه الفارس الشهير عبد الله بن الحر الجعفي حين أتى كربلاء، ونظر إلى مصارع الحسين عليه السلام وأصحابه فقال:

سقى الله أرواح الذين تآزروا	على نصره سقياً من الغيث دائمه
وقفت على أطلالهم ومحالهم	فكاد الحشىٰ ينقض والعين ساجمه
لعمري لقد كانوا سراعاً إلى الوغىٰ	مصاليت في الهيجا حماة خضارمه
تآسوا على نصر ابن بنت نبيهّم	بآسيافهم آساد غيل ضراغمه[2]

واستمرت المسيرة إلى اليوم على أكثر مما يتصور، فلم تبق لغة من لغات العالم لم ينظم شعراؤها في الحسين عليه السلام، وأنت إذا علمت أن الشيخ أحمد البلادي رثى الحسين عليه السلام بألف قصيدة[3] وللشيخ أحمد الخطّي مائة قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام[4] والشيخ محمد الملّا نظم ما يزيد على خمسين ألف بيت، واستقصى حروف الهجاء مرتين أو ثلاثاً في رثاء الحسين عليه السلام[5].

---

(١) انظر شعرهم في كتابنا (تحت راية الحق) ٣٩٨ وما بعدها.
(٢) الدر النضيد: ص٢٨٦.
(٣) الغدير: ١١/ ٣٤١.
(٤) أدب الطف: ٨/ ٦١.
(٥) أدب الطف: ٨/ ١٧٥.

وهذا الكتاب

نعود للحديث عن هذا الكتاب باختصار: فهو يعتبر من كتب المقاتل ومؤلفه أبو إسحاق الأسفرايني، في طليعة علماء السنة في عصره، وأنا تركت الروايات التي ذكرها ـ لاسيما في موضوع الذين قتلهم الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره رضوان الله عليهم أجمعين، والمؤلف أعلم بمصادره، وإن كانت تختلف عن الروايات التي ذكرها أصحابنا في كتب المقاتل والسير.

وأيضاً: يجب أن ينتبه المطالع للكتاب إلى أنّ المراد حينما يروي المؤلف أنّ الحسين عليه السلام قتل الفا ـ أو أقل أو أكثر ـ فليس المعنى أنه عليه السلام قتلهم بسيفه، بل كانت الخيل يسحق بعضها البعض هرباً من سيفه، ألم تسمع قول النبي صلى الله عليه وآله: رحم الله عمي أبا طالب، لو ولد الناس كلهم لكانوا شجعاناً[1].

علويون والشجاعة فيهم ولهم في الوغا المقام الرفيع

وما أجمل ما ذكره الشاعر المفلق الشيخ حبيب شعبان واصفاً شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) أبطال الهاشميين: ١١٠.

ويا واحداً أفنى الجموع ولم يزل   بصيحته في الروع يأتي على الألف

وأيضاً يدعم ذلك ما رواه البعض: لم يبق بيت في الكوفة إلّا وفيه نائح ونائحة.

لقد لقّن الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين أهل الكوفة درساً لن ينسوه أبداً، لقد ذاقوا بسيوفهم المنيّة، وبعدها نار الخلود.

وأيضاً يجب التنبيه إلى كلمة عمرو بن الحجاج الزبيدي ـ قائد ميمنة ابن سعد ـ أتدرون من تقاتلون؟ إنكم تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين، لا يبرز إليهم أحد منكم إلّا قتلوه على قلتهم، والله لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم.

فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأي ما رأيت، ارسل في الناس من يعزم عليهم أن لا يبارزهم رجل منهم، ولو خرجتم إليهم وحداناً لأتوا عليكم[1].

فعند اجتماع هذه الخصال في شخص فبستطاعته أن يقتل الجمع الغفير.

لقد مرّ عليك في قرآتك عن بعض فرسان العرب أنه كان يعد بألف فارس، كعمرو بن عبد ود وغيره كثير، هذا وهم مشركون، لا يرجون جنّة ولا يخافون ناراً، يقتحم أحدهم الألف، بهذا وغيره يزول التعجب من كثرة من قتلهم أصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره، صلوات الله عليهم أجمعين من جيوش الأعداء، أضف إلى ذلك الانتقام الذي أنزله الله جلَّ جلاله على المعتدين، عوناً لأهل البيت عليهم السلام.

---

(١) مجالس الحسين عليه السلام: ص١٧٠ وجميع كتب المقاتل.

فليستجيبوا لي

وينبغي للقارىء الكريم للكتب المؤلّفة في الحسين عليه السلام وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، وأيضاً المشاهدين لحرمه الطاهر الذي كأنه جنّة الخلد، وازدحامه بالزائرين، مضافاً لما أعدّ لهم جلّ جلاله لهم من النعيم في الآخرة، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، كل ذلك لامتثالهم سلام اللّه عليهم لأوامره سبحانه وتعالى، وتضحيتهم في نصرة دينه، وحاشا سبحانه وتعالى أن يبخل على عباده الصالحين إذا اتبعوا تعاليمه، وعملوا بأوامره، وانتهوا عما نهى عنه فينبغي للمسلم أن يبادر للعمل الصالح، ويحذر كل الحذر من الذنوب والآثام، ليتأهل للمقامات السامية.

إنّ المفسرين لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1]، فهم يقولون أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾: فليستجيبوا لي بالطاعة[2].

وأخيراً: نتمنى للجميع المغفرة والرحمة، والتوفيق.

علي محمد علي دخيّل

---

(١) سورة البقرة، الاية: ١٨٦.

(٢) مجمع البيان ٢/٧.

المُخْتَار

مِنْ كتاب نور العين في مشهد الحُسين عليه السلام

للعلّامة أبي إسحاق الإسفرايني

ويليه

قرّة العين

في أخذ ثأر الحسين عليه السلام

للعلّامة عبد الله بن محمد

تقديم

علي محمد علي دخيّل

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قرّة العين في مشهد الحسين عليه السلام

الحمد لله الذي خلق محمداً صلى الله عليه وسلم قبل الخلق الأولين، وجعله واختاره واصطفاه من سائر العالمين، وجعله بشيراً ونذيراً وشافعاً في خلقه أجمعين، وفضّله بالحمد على سائر الأمم السّابقين، وجعله صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل المكرمين، وجعل وفاته عبرة للمعتبرين، واصطفى عترته وأهل بيته وجعلهم خير الأولين والآخرين، وجعلهم طاهرين فاخرين، ورضي الله عن الصحابة السادة الراشدين، وجعل مَنْ أحبّهُ صلّى الله عليه وسلم، ومن تبعه وعمل بسنّته يوم القيامة من الفائزين، ومن خالفه أو أبغضه أو أبغض أحداً من آله وأصحابه وعترته من الخاسرين، وجعل من أبغض أولاده من الهالكين، وأوعد قاتل أولاد ابنته بالوعيد المبين، وأوعدهم يوم القيامة بالحسرة والندامة والعذاب المبين، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على ما هدانا إلى الصراط المستبين. وأشهد أن لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من العذاب المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله صادق

الوعد الأمين صلى الله عليه وعلى اله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وَسَلمْ تسليما كثيراً آمين.

أما بعد، فيقول الإمام العالم العلامة أبو إسحاق الأسفرايني أنه طُلِبَ مني آن أروي ما ورد في مصرع الحسين فألفت هذا الكتاب. **(وسميته نور العين في مشهد الحسين).**

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وقيل: المراد بذلك جميع القرون أي كنتم في الأول خير أُمة أُخرجت للناس ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم لقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. قال محمد بن حسين: فلا أدري أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً!؟ وقيد المصنف رحمه الله تعالى الخيرية بالإيمان لأنه متعين لأنّ كثيراً من الكفار كانوا في القرن الأول الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تنفعهم رؤيتهم له صلى الله عليه وسلم لعدم إيمانهم به واختلف في القرن ما هو، فقيل المراد به الجيل، واختاره بعض العلماء فالقرن الأول الصحابة حتى ينقرضوا، والثاني التابعون حتى ينقرضوا، والثالث تابع التابعين حتى ينقرضوا. وقيل المراد به السنون، واختلف في تحديده، والأصح أنه مائة سنة واخْتُلِفَ هل ما بعد القرون الممدوحة سواء أو يتفاضلون قولان فإن قيل ما ذكرتموه من تفضيل القرن الأول يعارضه ما روي بإسناد رواته ثقاة أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم هل أحد خير منا قال قوم يجيئون بعدكم فيجدون كتاباً بين لوحين يؤمنون بما فيه ويؤمنون بي ولم يروني ويصدّقون بما جئت به ويعملون بما فيه فهم خير منكم.

يزيد بن معاوية

تربّع على كرسي مملكته، وأدار كاسات الخمور، وأعطى وأنفق على جميع عشيرته، وأقام الحكم في رعيته، ثم أنه صار ينفق على عسكره ويعطي أعيان دولته، وأهدى إليه سائر الملوك الهدايا والأنعام. وأتته سائر بلاد الشام والأروام وغيرها بالطاعة والإكرام ورتّب المراتب. وأعطى العطايا وأولم الولائم، وأعطى جميع عسكره وجنده.

(قال الراوي): ﷺ أما كان من أمر الحسين وأهله وعشيرته ونزولهم في أرض مكة المشرفة. وأما ما كان من أمر يزيد بن معاوية فإنه أقام بدمشق ـ الشام ـ خليفة مكان أبيه وأطاعه جميع العربان، وأهدى له جميع الملوك الهدايا من سائر الأقطار والبلدان. ودخل تحت طاعته جميع العباد. وطغى وتجبّر، وعمّ ظلمه سائر الأماكن والبلاد، وصار يقتل الأنفس، وينهب الأموال ويسلبها، وظهر منه الجور والظلم في سائر الأفعال. وولّى على البصرة والكوفة والعراق جميعاً رجلاً من جيشه يقال له: عبيد الله بن زياد، وقد كان ابن زياد أظلم وأطغى من يزيد. فنزل البصرة بعسكره، وأقام بالكوفة نائباً يحكم من تحت أمره، وأقام هو بالبصرة بالظلم والجور وقتل النفس ونهب الأموال. وقتل جميع الرجال

والأبطال، وعمّ ظلمه سائر بلاد العباد. فلما رأى أهل العراق ذلك من عبيد الله بن زياد وظلمه، وفعل يزيد بن معاوية وظلمه وجوره في حكمه عظم ذلك عليهم، وكبر لديهم، فأتوا إلى كبرائهم وأمرائهم واجتمعوا وقالوا! هذا حكم ليس ترضى به. والرأي أن نتفق على أمر من الأمور، فما تقولون؟

أهل الكوفة يكتبون إلى الحسين عليه السلام

فقال بعضهم لبعض: نحن نكتبِ للحسين بن علي كرّمِ الله وجهه أن يأتي ويأخذ الخلافة لأنها ليست ليزيد ولا لأبيه، وإنما هي للحسين وأبيه وجدّه من قبله. ونحن نخرج معه إلى حرب يزيد لأنه هو عارف بالله، وهو من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل العدل والإيمان. ولا يرضى بالظلم والجور والبهتان، وهو أحقّ إلينا من يزيد وغيره واتفقوا على ذلك كتبوا للحسين كتاباً، وذكروا فيه:

إعلم يا أبا عبد الله، أن يزيد جار علينا، وتجبر على سائر البلاد، وعمّ ظلّه وجوره سائر العباد. وأرسل لنا رجلاً من عسكره يحكم فينا يقال له عبيد الله بن زياد وهو أظلم وأجبر وأطغى منه على سائر العباد. وأنّ الخلافة ليست ليزيد ولا لأبيه بل هي لك ولأبيك وجدك. فنروم حين وصول الكتاب إليك أن تحضر وتأخذ الخلافة علينا ونحن نركب معك ونساعدك على حرب يزيد وجنوده. وتأخذ الخلافة فأنت أولى بها منه، وأعدل لنا منه وأنت صاحب العدل ولا تتأخر إلّا مسافة الطريق.

(قال الراوي): ثم أنهم طووا الكتاب وأرسلوه بصحبة رجل من أهل الكوفة فأخذه وسار به من عندهم، ولم يزل يجدّ في السير إلى أنْ دخل

مكة المشرفة، وأتى إلى دار الحسين رضي الله عنه فوجده فيها فاستأذنه في الدخول فأذن له وسلّم عليه وقبّل يديه وأخرج الكتاب وناوله له رضي الله عنه فأخذه وقرأه وفهم معناه فلما عرف ما فيه رماه من يده وطرد الرسول ولم يردّ له جواباً، ولم يبد له خطاباً. فذهب رسول أهل الكوفة خائباً، ولم يزل سائراً إلى أن أتى أهل الكوفة وحكى لهم ما جرى له مع الحسين وأنه لم يلتفت إليه ولا ردّ له جواباً، ولم يبد له خطاباً، فأرسلوا له ثانياً وثالثاً ورابعاً، وهو لا يلتفت إلى ذلك بل إنه لا يفارق الحرم طول نهاره صائماً وطول ليله قائماً معتكفاً على عبادة الله تعالى. وازداد طوافه حول البيت العتيق وركوعه وسجوده في الحرم على التحقيق. وصار أهل الكوفة والعراق يرسلون له المكاتيب أن يحضر ويأخذ الخلافة فما مضى عليه سنة في مكة حتى اجتمع عنده من أهل العراق والكوفة نحو ألف كتاب. وكل منهم يقول: أحضر عندنا يا أبا عبد الله ونحن نساعدك عليه، وتأخذ خلافة أبيك وجدك منه. وهو لا يلتفت إلى شيء من ذلك بل يقول: إني لا أخرج من مكة ولا أبرح عنها حتى تنقضي مدتي وأموت فيها ولا لي حاجة إلى الخلافة ولا بظلم العباد. وحاشاه من الظلم والجور فإنه ليس أهلاً لذلك وإنما هو أهل عدل وصلاح.

(قال الراوي): فبينما الحسين رضي الله عنه جالس في بيته يوماً من الأيام إذا بفارس من الكوفة أتى إلى بابه وطرقه فقال الحسين رضي الله عنه من بالباب؟ فقال له رسول يا أبا عبد الله إئذن له بالدخول فدخل عليه، وسلم عليه، وقبّل يديه، وأخرج الكتاب وناوله له فأخذه وقرأه وفهم معناه فإذا هو من أهل الكوفة يقولون فيه يكون في علمك يا حسين يا ابن بنت رسول الله أن يزيد بن معاوية ظلم وجار، وقتل الرجال، ونهب الأموال، وطغى وتمرد، وولّى علينا رجلاً اسمه عبيد الله بن زياد بن

مرجانة وهو ظالم جبار ومعتد غدار، وقد عمّ ظلمه سائر الأقطار يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، ويشرب الخمر بيننا، ولا يخشى الله. وأفشى القبائح في جميع البلاد، وأظهر الظلم والجور في العباد، وقتل الرجال، ونهب الأموال، ولم يراقب الله في شيء من الأشياء، وأخفى العدل في الرعية، وأظهر الظلم والجور بالكلية، وإننا قد أرسلنا إليك يا أبا عبد الله سابقاً نحو ألف كتاب نطلبك أن تحضر عندنا ونحن نساعدك على يزيد ونقتله وتأخذ خلافة أبيك وجدك وتتولى علينا أنت أو أحد من أهل بيتك. ونسألك بحق جدك المصطفى صلى الله عليه وسلم أن تحضر عندنا، ونحن نساعدك على يزيد وتأخذ الخلافة وإن لم تحضر ففي غد بين يدي الله سبحانه وتعالى خاصمناك ونقول يا ربنا ظلمنا الحسين ورضى فينا بالظلم والجور في القضاء والحكم وجميع الخلائق يقولون: ربنا خلص حقنا من الحسين فماذا تقول؟ وما جوابك الذي تقوله لله وتتخلص به من حقوق خلق الله!؟.

(قال الراوي): فلما قرأ الحسين رضي الله عنه المكتوب اقشعرّ جلده خوفاً من الله، وتقطّعت أحشاؤه على ظلم خلق الله، وإقسامهم عليه بجدّه رسول الله فقام من وقته وساعته قائماً على قدميه، ودموعه تجري على خدّيه، وأتى بدواة وقرطاس وقلم من نحاس، وكتب إلى أهل الكوفة والعراق يقول: بسم الله الرحمٰن الرحيم من عند الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أهل الكوفة والعراق، أعلمكم أنكم أرسلتم لنا ألف كتاب ونحن ما نلتفت إليها وأنا ما مرادي إلّا الجوار بكعبة الله أُقيم فيها إلى انقضاء الأجل. والآن ظهر منكم الشكوى من ظلم يزيد وغيره، وإني حاضر إليكم عن قريب إن شاء الله والواصل لكم مسلم بن عقيل بكتابي وهو يصلي بكم في مسجد الكوفة ويقضي بينكم إلى أن أحضر لكم.

الحسين عليه السلام
يرسل مسلم بن عقيل الى الكوفة

ثم أن الحسين طوى الكتاب ودعا بمسلم بن عقيل فحضر لديه فسلّمه الكتاب وأمره أن يسير إلى الكوفة مع رسول أهلها، وأن يصلي بهم ويقضي بينهم بالحق. فأجابه مسلم بالسمع والطاعة وجهز حاله وسار مع رسول أهل الكوفة، ولم يزل هو والرسول يجدّان في المسير إلى أن أتيا إلى الكوفة ودخلاها فسلم عليهما أهلها وقالوا لرسولهم ما الخبر؟ فأخبرهم أنّ الحسين قادم عن قريب. وأنه أرسل معي مسلم بن عقيل يخطب بكم الجمعة، ويصلي بكم إلى أن يحضر، ففرحوا بذلك غاية الفرح وكل وأحد منهم صدره قد انشرح، وفرحوا بمسلم غاية الفرح الزائد وأكرموه غاية الإكرام، وأنزلوه عندهم في أحسن منزلة ومقام.

ثم بايع الناس للحسين فدخلوا في بيعته وصار يحكم فيهم ومسدم يصلي بهم ويؤذن ويخطب ويقضي بينهم وانقادوا جميعاً ودخلوا في بيعة الحسين

الحسين عليه السلام يتهيأ للسفر

هذا ما كان من أمر هؤلاء، وأما ما كان من أمر الحسين رضي الله عنه فبعد أن سافر من عنده مسلم مع رسول أهل الكوفة بكتابه نهض من وقته وساعته، وأتى إلى أخته سكينة وأخبرها بما جرى لأهل الكوفة والعراق من ظلم يزيد وعبيد الله بن زياد ومكاتبتهم له في شأن ذلك، وأخبرها بالكتاب الأخير وما كتبوا فيه وأخبرها أيضاً بإرسال مسلم يصلي بهم، ويقضي بينهم، إلى أن يحضر عندهم ثم قال لها: قومي وجهّزي لنا ما يلزم للرحيل، وانهضي بنا يا أختي إلى التحويل، فلما سمعت أخته منه هذا الكلام ودموعه على خدّه سجام وذلك ممّا حلّ بأهل الكوفة والعراق من الجور والظلم في الأحكام. فاض دمعها على خدها وقالت له: يا أخي، لا أبكى الله لك عيناً إلّا من خشيته، يا أخي، هذا ما هو أوان سفر ونحن متهيئون، وقادم علينا شهر المحرم فنريد أن نحضر عاشوراء في بيت الله الحرام، وكان ذلك اليوم ثاني عشر ذي القعدة الحرام. وقالت له أيضاً: يا أخي، أقم بنا هنا إلى أن نقف بعرفة ثم نحضر يوم النحر، ونحضر عاشوراء بالبيت الحرام، وأيضاً إني تفاءلت من سفرنا في هذه الأشهر الحرم بما سمعته من جدي عليه الصلاة والسلام يقول: بهرق دم

الحسين في المحرم الحرام، فاصبر يا أخي إلى أن يفوت محرم هذا العام لكي يطمئن قلبي من أعدائك اللئام. فقال لها: يا أختي وأنا سمعت هذا القول من جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا فائدة في الكلام لأن أهل الكوفة والعراق حلّفوني بالله وبأبي وجدي أن أحضر في هذا العام، وإن لم أحضر يخاصموني بين يدي الله يوم الزحام، فماذا أقول لهم بين يدي الملك العلام!؟ ولعله يكون في محرم غير محرم هذا العام، ولعله يكون حسين غيري تصديقاً لجدي ﷺ وإذا كنت أنا فماذا بيدي في المقدور!؟ قومي وجهزي حالنا، ونتوكل على الله في كل الأمور. فقالت له: يا أخي، إصبر عليّ ساعة حتى أرى إمارة عندي تدل على إهراق دمك، وقد جاء بها جبرائيل من ربه فقال لها: وما الإمارة يا أختي؟ فقالت له: يا أخي، إن الأمين جبرائيل ﷺ أتى إلى جدّنا محمد صلى الله عليه وسلم بقبضة من تراب أبيض وقال له: يا محمد، خذ هذا التراب منه. خلق ابنك الحسين وعليه يهرق دمه ولما يقرب أوان قتله يصير هذا التراب أحمر والدم منه يقطر فأخذ التراب جدك يا أخي من جبرائيل، وأعطاه لفاطمة الزهراء، فأخذته منها واصطحبته ذخيرة عندي، فاصبر عليّ حتى أنظره أهو على حاله أو تغير لونه؟ وقامت من وقتها وساعتها وأتت إلى التراب وأخرجته من صرّة كانت عندها وفتحتها فرأته كالعقيق الأحمر والدم منه يقطر فأتت به إلى الحسين رضي الله عنه وقالت له: أنظر إلى التراب يا أبا عبد الله فلما رآه قال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله، إنّا لله وإنّا إليه راجعون. ولكن يا أختي، إن كان هذا الأمر قد سبق لي من القدم فماذا يكون العمل؟ ولا بد لي منه، والأمر كله لله، فتوجهي بنا إلى المسير، ولله عزّ وجلّ المشيئة والتدبير، فعسر ذلك على أخته سكينة وقامت على قدميها ودموعها تجري على خديها وأنشدت تقول:

ألا إن شوقي في الفؤاد تحكما ... ودمعي جرى يحكي من الوجد عندما
ولما تهيأ للمسير ركابها ... فقلت لعيني أبدلي الدمع بالدما
فإن عاد لي يا عين كان لك الهنا ... وإن طال بي الإبعاد بشرت بالعمى
أيا قلب لا تنسى الوداد الذي جرى ... فأيامنا كانت بها العيش منعما
وغادرنا سهم الفراق أصابنا ... وجرعنا كأس التفرق علقما
أيا حادي الركبان في غسق الدجى ... ويا قاطع البيداء والليل أظلما
إذا ما وصلت اليوم دار أحبتي ... فأقرئهم مني السلام وكلما

عبد الله بن الزبير
يطلب من الحسين عليه السلام الإقامة بمكة

أتى عبد الله الحسين وقال له: يا أخي دع ما عزمت عليه من المسير وأقم عندي في مكة حتى يهون الله عليك كل أمر عسير، فما لك بالعراق والكوفة وقلوبنا عليك بالأشواق ملهوفة، فإن كنت تريد الخلافة فخذ علينا عهداً وميثاقاً إنك من هذا النهار خليفة وإن أحد نازعك مثل يزيد أو غيره حاربناه. وتطيع لك جميع العباد، وتدخل تحت أمرك جميع البلاد، وتخمد نيران أعدائك والحساد، فأبى الحسين ذلك وقال له: يا أخي والله وتربة جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بد لي من المسير ودع ما أنت فيه من الوجد والتحيّر واهتم الحسين من ساعته وأخرج الجمال وحمل عليها الأحمال، وركب عليها جميع النساء والأطفال، وركب وسار وسارت معه عشيرته الأبطال وخرج من مكة ومعه سبعة عشر رجلاً من أهل بيته وهم أولاده واخوته وأولاد اخوته وأولاد أعمامه، وستون رجلاً من أصحابه، منهم الفارس، ومنهم الراجل، وسار الجميع بنسائهم وعيالهم مع الحسين قاصدين مدينة الرسول، ثم إلى الكوفة والعراق. وساروا يجدون معه في الآفاق. وكان الحسين رضي الله عنه راكباً جواد أبيه (الميمون) وهم سائرون بعد أن أتوا إلى بيت الله الحرام، وودعوا

الكعبة وأهلهم، وخرجوا وقد سار أمامهم عبد الله بن الزبير وهو يقول له: خذني معك إلى الكوفة والعراق وأنا آخذ معي ألفي بطل شجاع فقال له الحسين: يا أخي لا حاجة لي بذلك ولا يسير معي غير هؤلاء السبعة والسبعين فارساً من قرابتي واخوتي حتى أنظر حال أهل الكوفة والعراق بعون الكريم الخلاق. إرجع يا أخي من هنا بأصحابك وإخوتك ولما أن خرج من باب مكة ودعه الحسين هو وأهل مكة. وحلف عليه أن يرجع هو وإياهم، فرجع عبد الله بن الزبير وهو يبكي بدمع غزير وقلبه على الحسين في غاية التحذير ومن عظم ما به أنشد يقول:

ترحلتم عني وأنتم أحبتي ... وخلّفتموني في الديار رهينا

تركتم عيوني لا تملّ من البكا ... لفقدكم صار الفؤاد حزينا

أيا غائباً عنّا ملكت فؤادنا ... وأسقيتنا كأس الفراق يقينا

وصار فؤادي بالفراق معذّبا ... يذوب من الهجران ليس مكينا

أحاط بنا الهجران والصدّ والجفا ... ففي القلب نار من فراق المحبينا

عسى من قضى بالبعد بيني وبينكم ... يجمعنا لو كان بعد سنينا

أجود بروحي للبشير وإنني ... عيوني ودمعي كالفؤاد رهينا

سمحت بروحي فانعموا لي بوصلكم ... فإني إلى الأسرار صرت أمينا

(قال الراوي): ورجع عبد الله بن الزبير وهو يبكي دماً على سفر الحسين هو وقرابته وعشيرته إلى الكوفة والعراق ثم أن الحسين لم يزل سائراً هو ومن معه إلى أن دخلوا مدينة يثرب وأتوا إلى ضريح جدهم وزاروه وتمتعوا بأنواره، ثم أتوا إلى دار محمد بن الحنفية وقد كان مريضاً فدخلوا وسلموا عليه فقال محمد: يا أخي يا حسين إني أنظر معك الحريم والأطفال والفرسان والرجال فما يكون الخبر؟ فقال له: يا أخي نريد الكوفة والعراق وأخبره أنهم أرسلوا إليه نحو ألف كتاب يطلبونه خليفة

فبكى محمد بن الحنفية بكاء شديداً، وقال يا أخي ما لك بالكوفة والعراق فإن أحوالهم كلها نفاق ولا لهم رأفة قد ضرب المثل في حقهم (الكوفي لا يوفي).

وأهل العراق لا تطاق. وهم يا أخي قوم غدروا بأخيك، وثنوا بأبيك، فما لنا بهم حاجة، أقم هنا يا أخي في حرم جدك، وفي دار أبيك أو في داري أو في أي ما تختار من منازل الأخيار، ولا تسر إلى دار الفجار وإلّا فأرجع إلى مكة المشرفة بين أهلك وجنودك وعشيرتك فبينهم يا أخي تصير قيمتك مرفوعة، وكلمتك بينهم مسموعة، واترك يا أخي مسيرك إلى الكوفة والعراق لأن قلوبنا من فعلهم في عظيم احتراق. فقال له الحسين: يا أخي دع عنك هذا القول كم أرسلوا من رسول وطلبوني للحضور وأوعدوني بنزع الخلافة من يزيد، وقالوا إن لم تحضر وتنقذنا من جور هذا الرجل وإلّا خاصمناك غداً بين يدي الله يوم لا يجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً، إنّ وعد الله حق فماذا أقول لهم يا أخي، فلا بد لي من المسير ولله عزَّ وجل المشيئة والتدبير. فعسر ذلك على محمد بن الحنفية وبكى بكاءً شديداً وقال له: يا أخي أقم هنا حتى يأذن الله ويشفيني من مرضي وأسير معك، وانظر ما يجري وأفديك بنفسي. فأبى الحسين ذلك وقال: لا بد لي من المسير ولا حاجة لي بأحد غير هؤلاء السبعة والسبعين الذين معي وهم من قرابتي واخوتي فبكى أخوه بكاء شديداً وجعل يقول:

ولما تبدّت للرحيل جمالهم ... وجدت بها الحادي ففاضت مدامع
فقلت إلهي كن عليه خليفة ... فيا ربّ ما خابت إليك الودائع
فقال له: والله ما من مسافر ... يسير ويدري ما به الدهر صانع
عسى من قضى بالبعد بيني وبينكم ... يجمعنا والقلب في ذاك طامع

مضوا واختفوا عني وسرت بحسرتي أنوح وأبكي بعدما القلب هاجع

رعى الله أياماً تقضت بقربهم وحيّى زماناً وهو للشمل جامع

لقد ضاق صبري حين فارقت ركبهم فيا ليت يومي للحسين مراجع

(قال الراوي): فما أتمّ محمد بن الحنفية شعره إلّا وقد دخل عليهم عبد الله بن العباس رضي الله عنهما وسلّم على الحسين وعلى أخيه محمد وجلس عندهما وقال للحسين: يا ابن العم، أخبرني عن هذا الجيش الذي معك؟ فقال: أريد السفر إلى الكوفة والعراق لأنهم أرسلوا لي نحو ألف كتاب وهم يقولون احضر لنا وخذ خلافتك من يزيد، ونحن نساعدك واشتكوا لي من جوره وظلمه عليهم، وأنا لم ألتفت إليهم، ثم أرسلوا لي آخر كتاب وقالوا فيه: إن لم تحضر خاصمناك بين يدي الله ونقول: خلص حقنا من الحسين فماذا تقول؟ فمن ذلك أُريد السفر إليهم. فقال له: أقم هنا حتى يشفي الله أخاك محمداً وأركب معك أنا وإياه وعشيرتنا جميعاً كي ننظر ما يجري عليك من أهل الكوفة والعراق فإني لم آمن عليك منهم فقال له الحسين: والله لا تسيرون معي ولا حاجة لي بغير هؤلاء الذين معي ويقضي الله أمراً كان مفعولاً. فعسر ذلك على عبد الله بن العباس رضي الله عنهما ثم أنشد يقول:

لقد ذاب قلبي من فراق أحبتي وقد سهرت عيني وزادت بليتي

حرام عليّ الدار حتى أراكم وأنظر في تلك الوجوه بمقلتي

وقد ضرّني من بعدكم طول بعدكم وأبكي وتجري بالمدامع عبرتي

رعى الله عيشاً لذّ لي بجواركم وحيّى زمانا كنتم فيه جيرتي

إذا غبتم عني تذوب حشاشتي وتزهق روحي كل وقت وساعة

فلا تحرموني رؤيتي لجنابكم فرؤيتكم دوماً تزيد مسرّتي

ألا يا غراب البين روّعت خاطري وأسهرت عيني لا رثيت لفرقتي

سلام عليكم كلما هبت الصبا وما ناح قمريّ على كل دوحة

(قال الراوي): ولم يزل يدخل على الحسين واحد بعد واحد، وهم يعدلونه عن المسير، وهو لا يلتفت إلى أحد منهم إلّا بعزم وجزم، ثم انهم أقاموا في المدينة بعد عيد النحر أربعة أيام وفي اليوم الخامس زاروا قبر جدهم عليه أفضل الصلاة والسلام، وأمر بتحميل الحمول على الجمال، وركب عليها النساء والأطفال، وركب عشيرته الخيل الجياد وعدتهم سبعة وسبعون من الأولاد والفرسان والرجال، وخرج بهم الحسين قاصداً إلى بلاد الكوفة والعراق وهو متوكل على الله الكريم الخلاق، وخرجت معه أهل المدينة تشيعه إلى أن خرج منها وأخذ خواطرهم وحلف عليهم أن يرجعوا فرجعوا وهم يبكون وعبد الله بن العباس في شدة الاحتراق فجعل يقول:

فقدت ظعوناً في دجى الليل حملوا وساروا ولم أعرف لهنّ مقاما

فلا القلب يسلاهم ولا النار تنطفي ولا العين تتهنى بذاك مناما

وفرّقتنا يا بين ليتك مثلنا تبيت وتضحى لا ترد كلاما

كما كنت بالتفريق بيني وبينهم وقلبي عليهم قد رميت سهاما

أدور عليهم في الديار بمقلتي وأبكي عليهم دائماً إلزاما

أيا من درى أن الزمان يلمنا نداوي جراحات لنا وسقاما

إذا لم أراهم في الديار هجرتها وسكنتها عادت عليّ حراما

وَمن كان مثلي ناضج القلب موجعاً ينوح ويبكي ما يخال ملاما

الملائكة والجن يأتون لنصرة الحسين عليه السلام

(قال الراوي): فلما خرج الحسين من المدينة بأهله وعشيرته قاصداً إلى الكوفة والعراق، أتته أفواج من الملائكة وبأيديهم الحراب، وهم ركوب على نُجُب من الجنة فسلموا عليه وقالوا له: يا أبا عبد الله، إنّ الله تعالى أيّد جدّك رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور كثيرة، وإنّ الله تعالى قد أمرنا أن نُطيعك في جميع ما تأمرنا به، ونحن بين يديك إن كنت تأمرنا أن نسير معك إلى الكوفة والعراق، أو أي محل تريده نَنْصُرك على كل من تَعَرَّض لك بسوء ونُقاتل معك جميع ما قاتلك. فقال لهم الحسين: لا حاجة لي بكم فالله تعالى يفعل ما يشاء. فقالوا: إنّ الله تعالى قد أمرنا أن نطيعك ونردّ عنك كل ما تخشاه فقال لهم: لا سبيل لأحد عليّ ولا على قتالي لأنه لم يكن لهم عندي شيء يوجب القتال، وإنما أنا عامد إلى بُقْعَتِي وحُفْرتي. فانصرفوا عنه، ثم أتته طائفة من مؤمني الجِنّ وسلموا عليه وقالوا له: يا أبا عبد الله، نحن من شيعَتِك وأنصارك، فلو أمرتنا بقمع كل عَدوّ لك، وأنت بمكانك لكفيناك شرّه. فقال لهم: جُزيتموا خيراً، إني لا أقاتل أحداً ولا أحد يقاتلني. ثم قال لهم: أما قرأتم كتاب الله العزيز المنزَّل على جدّي صلى الله عليه وسلم أما اطّلعتم على قوله

تعالى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ وإذا أنا مِتّ بمكاني فبم إذاً تُمْتَحَنُ هذه الأمة!؟ ومن ذا يكون ساكِناً في بقعتي وحفرتي!؟ وإنما العلم عند الله. فقالوا: والله يا أبا عبد الله، لولا أنها لا تجوز مخالفتك لخالفناك، وقتلنا كل عدوّ لك قبل أن يصل إليك فقال لهم رضي الله عنه: والله إنّي لَأَقْدَرْ عليهم منكم، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا، ففارقوه. وسار بأهله وعشيرته قاصداً إلى بلاد الكوفة والعراق وتوكل على الله الكريم الخَلّاق.

يزيد يكتب إلى ابن زياد بالذهاب إلى الكوفة وقتل مسلم بن عقيل

(قال الراوي): هذا ما كان من أمر الحسين رضي الله عنه. وأما ما كان من أمر يزيد فإنه لما بلغه خبر أهل الكوفة والعراق وإرسال مكاتبتهم للحسين طول السنة إلى أن بلغوا ألف كتاب ومرامهم أن يأتي ويأخذ الخلافة وهو لا يلتفت إليهم. ثم أرسلوا له وأكّدوا في حضوره وقالوا: إن لم تحضر وإلّا خاصمناك غداً بين يدي الله ويقولون: ظلمنا يزيد ورضي فينا بالظلم والجور وأنك تحضر ونحن نساعدك على حربه وقتله وتأخذ خلافة أبيك وجدّك منه فمن ذلك أرسل لهم مسلماً يصلّي بهم ويخطب لهم ويقضي بينهم إلى أن يحضر والآن قد حضر مسلم وفعل ما أُمر به وحضر الناس وبايعوا الحسين فدخلوا في بيعته وأخبرهم أن الحسين قادم إليهم قريباً يأخذ الخلافة ففرحوا بذلك وتجهزوا لملاقاته وإعانته عليك فلما سمع يزيد ذلك الخبر عسر عليه وكبر لديه وكثر وجده وذاب قلبه وطار الشرر من عينيه. فأمر من ساعته ووقته بإحضار دواة وقرطاس وقلم من نحاس وكتب إلى عبيد الله بن زياد: إعلم يا أمير، أنّ الحسين أرسل إليه أهل الكوفة والعراق مكاتبات كثيرة ليحضر ويأخذ الخلافة وينازعنا في ملكنا وهم يساعدونه على ذلك فعند وصول كتابنا إليك تركب من البصرة

بعسكرك وجنودك واعمد إلى الكوفة، وانزل بها في قصر الإمارة. واعلم أنّ النعمان دخل في بيعة الحسين فراجعه عن ذلك وإن لم يرجع فَمُرْه أن ينزم بيته وإن لم يَطِعْك فحزّ رأسه وأرسلها إليّ وإن لَزم لك جنود وعساكر أرسلنا لك جميع ما يلزم وَٱقْتله هو ومن يلوذ به لأن الخلافة لنا ولأبينَا نُولّي من نشاء بأمرنا ونرفع من نشاء. واعلم أن الحسين أرسل إلى أهل الكوفة والعراق مسلماً يصلي بهم، ويخطب لهم، ويقضي بينهم، فأسرع إليه وأقتله وأرسل إليّ رأسه وانظر جميع من يحب الحسين أو يذكره على لسانه أو دخل في بيعته فَانْهَهُ وإن لم يَنْتَهِ فاقتله، واقتل عياله، وانهب ماله، وٱسْبِ حريمه وَٱحْتَلْ في قتل الحسين، وجميع من معه لأنه قادم إليهم قريباً. وافعل ما شئت فإنك وَلِيّ الأمر دوني على جميع البلاد وكل ما فعلته رضينا به. والحذر ثم الحذر أن تتهاوَن في قتل الحسين وأصحابه. ثم ختمه وطواه وأرسله مع رسول من عنده فلم يزل الرسول سائراً بالكتاب إلى أن دخل البصرة، وأتى إلى دار الإمارة واستأذن في الدخول على ابن زياد فأذن له الحاجب، فدخل ووقف بين يديه وناوله الكتاب فقرأ وفهم معناه، فدعا بدواة وقرطاس وقلم من نحاس وكتب يقول: من عبيد اللّه بن زياد إلى يزيد إعلم أيها الملك أنّي سمعت بهذا الخبر وكذّبته ولكن من حيث أنه بلغك فهو صحيح وجميع ما تأمرني به أفعله سمعاً وطاعة لك ولقولك وإني في هذا اليوم أركب وأعمد إلى الكوفة وجميع ما ألقاه من هذه الشيعة قتلته وأرسلت لك رأسه ولا تهتم بهذا الأمر فأنت الخليفة وأنت الملك والخلافة ليْست لأحد غيرك ثم ختمه وطوَاه وسلّمه إلى رسول يزيد وأرسله له وقام من وقته وساعته وأحضر سائر جنوده وعسكره وأقام منهم نائباً في البصرة يحكم محله وركب هو وجنوده وعمد إلى الكوفة.

ابن زياد يصل الكوفة

ولم يزل سائراً إلى أن بقي بينه وبين الكوفة مسيرةُ مرحلة فأمرهم بالنزول جميعاً ثم إنّه أمر أن يُقَدَّم له بغلة زرورية فأتوا له بها فقام وقلع ما كان عليه من اللباس ولبس ثياباً بيضاً وأخذ في يده قضيب خيزران وركب البغلة وتزيّ في زيّ الحسين حيلة منه ومكراً حتى ينظر حقيقة الأمر من الناس إنْ كانوا على بيعة يزيد أو بيعة الحسين ولعل أحداً من أهل الحسين يكون بالكوفة فإن نظره في زيّه خرج يلاقيه لكي يقتله وسار ثم أمر العسكر بالرحيل فساروا حوله ولم يزل سائراً في تلك الحالة حتى دخل الكوفة وكان يوم جمعة فصار لا يمر بقبيلة أو بأحدٍ جالس بعيد منه إلّا وَأَوْمَأ إلَيْهِ بالقضيب ويقول: السلام عليك من غير كلام يسمع وهم يردّون عليه السلام ويقولون: قدوم خير حلَّتْ علينا البركةُ يا ابن بنت رسول الله. فلما رأى ابن زياد تَبَاشُرَ الناس بقدوم الحسين، عَظُم ذلك عليه، وكبر لديه، واشتدّ أمره. ولم يزل سائراً حتى أتى إلى قصر الإمارة فلاقاه عمرو الباهلي فعرفه فأتى إلى أهل الكوفة وقال لهم: يا ويلكم! هذا عبيد الله بن زياد وليس هو الحسين كما زعمتم وَٱسْتَبْشَرْتُمْ به فقالوا: نراه في زِيّه فظَننّا أنّه هو ثم إن ابن زياد لما نزل عن بغلته وطلع القصر لاقاه النعمان وسلم

عليه ورحّب به فقال له ابن زياد: أنت ترحّب بي وتفرح بي، وقد دَخَلْتَ في بيعة الحسين، ولم تعلمْني ولم تعلم يزيد، وَأَخْرَجَ له كتاب يزيد فقرأه وفهم معناه. وقال: سمعاً وطاعة لله فما لي بالخلافة والحكم؟ ما أنا إلّا مِنْ جملة الرعيّة لِمَنْ يَتَوَلّى منكم أو غيركم فقال ابن زياد: تدخل في بيعة يزيد فقال له: نحن رعية ليزيد أو غيره فقال له: إلزم بيتك فقال: سمعاً وطاعة ثم أخذ جميع ماله في القصر لأنّه كان خليفة الكوفة يومئذٍ من تحت أمر يزيد، ثم عمد إلى بيته وجلس فيه. وصار لا يخرج منه وقال في نفسه: ليقْضي اللهُ أمراً كان مفعولا. ولكن قلبه مِنْ جهة الحسين في لَهيبٍ لأنه يحبه ويحب جميع آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ابن زياد يخطب في أهل الكوفة

ثم أن ابن زياد بات في القصر تلك الليلة فلما أصبح الله بالصباح أمر بِجَمْع الناسِ في المسجد فاجتمع فيه خَلْقٌ كثيرٌ من أهل الكوفة حتى ضاق بهم المسجد فنَزل ابن زياد من قصر الإمارة وصعد المنبر وخطب لهم خطبة فيها تحذيرٌ وقال لهم: يا أهل الكوفة، إني أراكم متباشرين بالحسين ابن علي بن أبي طالب وأرسلتم له مكاتبات يأتي إليكم ويأخذ الخلافة من يزيد وتساعدونه عليه بالحرب أتظنّون أنه يخفى على يزيد أو عليّ أمراً من الأمور!؟ أما تعلمون أنه أخذ الخلافة عن أبيه فَمِنْ وَقتِنا هذا اثبتوا على بيعة يزيد قبل أن يبعث إليكم من الشام جنوداً لا قدرة لكم عليهم.

(قال الراوي): فلما سمع أهل الكوفة منه هذا الكلام جعلوا ينظرون إلى بعضهم ويقولون: ما لنا والفتنة بين السلاطين!؟ نحن رعية مَنْ تَوَلّى إنْ كان يزيد أو الحسين فقال لهم: يا أهل الكوفة، الحاضر منكم يُعْلِمُ الغائب أن البيعة من هذا الوقت ليزيد فأثبتوا عليها. ثم نزل عن المنبر وقصد إلى قصر الإمارة، وجلس فيه وصار يحكم بين جنده.

مسلم في بيت هانىء بن عروة

ثم لما جاء أوان العصر خرج مسلم من بيته ودخل الجامع لصلاة العصر، وأقام الصلاة فلم يُصَلِّ أحَدٌ خلفه. وكل من رآه نفر منه فلما فرغ من صلاته طلع إلى خارج المسجد وإذا هو بغلام واقف فقال له مسلم: يا غلام، م بالُ أهلِ الكوفة؟ فقال: يا مولاي، إنهم نقضوا بيعة الحسين، ودخلوا في بيعة يزيد؛ وحكى له ما جرى من ابن زياد في خطبته فصفق مسلم بيمينه على يساره وقال: لا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم. وصار يطلب مَن يجيره وكان في الكوفة رجلٌ يقال له: هانىء بن عروة وقد قضى عمره على مَحَبّة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أكابر الكوفة وله قدر عند أرباب الدوَل وكان مسلم يعرفه فسأل عن داره وأتى إليها ودقّ الباب فخرجت جارية وقالت له: ما تريد؟ فقال لها: أخبري سيدك أن رجلاً من بني هاشم اسمه مسلم بن عقيل يريد الدخول فدخلت الجارية لسيدها وأخبرته. فقال لها: أدْخليه فأدخلته فسلم عليه وكان مريضاً، فجلس مسلم بجانبه وأخبره بما جرى وأنَّ ابن زياد يطلبني ليقتلني فقال له هانىء: لا تخف مرحباً بك أحْتال لك إن شاء الله تعالى. فقال له مسلم: وكيف ذلك وهو الأمير وله جنود وعساكر!؟ فقال له

هانىء: إعلم أن بيني وبينه محبة وصداقةً وهو سيعلم أني مريض ولا بدّ له أن يعودني ويأتي إليّ هنا، فإذا نظرته ودخل عندي فليكن سيفك في يدك مسلولا وقف بين الستور وتكون العلامة بيني وبينك أن أرفع عمامتي عن رأسي وأضعها على الأرض وأعيدها على رأسي فاخرج إليه واضرب عنقه من ورائه. فقال مسلم: نعم الرأي.

ابن زياد يأتي لزيارة هانيء بن عروة

ثم أن عبيد الله ابن زياد بعد يومين سأل عن هانيء وعن تأخيره فقالوا له: هو مريض في بيته فقال: واجب عليّ أن أعوده فقام من ساعته ونزل من القصر وركب وأخذ معه خدمه وساروا إلى أن أتوا دار هانيء واستأذنوا له في الدخول عليه فقال هانيء لجاريته: إدفعي لمسلم سيفاً، وأدخليه الستر فناولته سيفاً قاطعاً، فأخذه وأدخلته من داخل الستر بحيث لا يراه ابن زياد ولا من معه ثم آذنت له بالدخول هو ومن معه وجلسوا عنده وتحدثوا معه وسأله عن حاله ثم بعد برهة قلع هانيء عمامته ووضعها على الأرض، ثم وضعها على رأسه أولاً وثانياً وثالثاً ومسلم لم يخرج فلما طال ذلك على هانيء جعل يرفع صوته كأنه يصلي ليسمع مسلم ويخرج من وراء الستر ليضرب عبيد الله بن زياد بالسيف في عنقه كما هو مُتَّفقٌ عليه مع هانيء بن عروة، ثم أن هانئاً حصل عنده غيظ من مسلم في تأخيره عن الخروج فأنشد يقول:

حيّي سليمى وحيّي مَنْ يحيّيها	ما الانتظار بسلمى أن نحيّها
هلْ شرْبَة عذبة أسقى على ظمأ	ولو تُلِفتُ وكانت نكبتي فيها
فاخرج إليها ولا تُبْطِيء قضيتها	إن كان في الكأس ماءٌ هاك فاسقيها

وجعل هانيء يُرَدِّدها وابن زِياد لا يفطن إلى ذلك فلما كثر الترديد من هانيء قال ابن زياد: ما بال الشيخ؟ قيل له: هذا دأبه من أول الليل ثم قام من عنده وركب جَواده، وركب إلى القصر. وأما مسلم فإنه لما خرج ابن زياد خرج من بين الستور والسيف في يده مشهور فقال له هانيء: ما الذي أعاقك عن الخروج لقتله!؟ فوالله ما ظَفِرْتَ بمثلِهِ! فقال له مسلم: إني لما هممتُ بالخروج أوّل مرة رأيت كأنَّ قابضاً قبض على يدي، ثم هممت ثانياً وثالثاً وإذا بِهاتفٍ يقول: يا مسلم، لا تخرج حتى يبلغ الكتابُ أجَلَهُ. ثم إن مسلماً أقام في دار هانيء لا يخرج.

ابن زياد
يرسل معقلا يتجسس على مسلم

وأما ابن زياد فإنه عجز عن إحضار مسلم فدعا برجل من أهل الكوفة يقال له مُعْقِلٌ وكان ذا هيبة عظيمة، فلما حضر بين يديه أعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال له: خذ هذا المال، واسأل عن مسلم بن عقيل واسْتَأنس معه وقل له: إنّي من شيعة الحسين فخذ هذا المال، وأسْتَعِنْ به على عدوّك فإنك إذا أعطيته هذا المال اطمأنَّ وَأمِنَ على نفسه ولم يكتم عليك شيئاً من أموره ثم عُدْ إليّ بالخبر. فقال: سمعاً وطاعة. وأخذ المال وخرج وصار يدور بالكوفة طوال النهار يُصلّي في المساجد ويتجسَّس الأخبار حتى أتى مسجداً بجوار دار هانىء فَاجْتمع برجل يقال له (مسلم بن عوسجة الأسدي) فجلس ينتظره حتى فرغ من الصلاة ،وكان يعلم أنه من أصحاب هانىء، فقام إليه وعظّمه وأكرمه ثم قال له: يا شيخ، إني رجل من أهل الشام ولي حُبّ بأهلِ البيت ومعي ثلاثة آلاف دينار وقد أحببت أن ألْتقِي مع الرجل الذي قَدِمَ الكوفَة يبايع الناس لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعطيه هذا المال ولم أعرف مكانه. وأظن أنك من أصحابه فأريد أن تدخلني إليه حتى أقبضَهُ هذا المال لأنك ثقةٌ من ثقاتِهِ،

وعندك كِتْمانٌ لِأَمْرِهِ فقال. له مسلم بن عوسجة: يا أخي، لا تُسمعْني كلاماً لا أحب سَماعه، وما أنا مِنْ أهلِ هذا الأمر وقد خَابَ مَنْ أرْشَدَك إليّ. فقال له: يا شيخ ليس أنا ممّن تكرهه، وأنا قد أُرْشِدت إليكَ فلا تُخَيّبني وإن لم تطمئن فخذ عليّ المواثيق والعهود فلما سمع كلامه قال له: إن كنت صادِقاً فاحلف لي أيماناً مؤكدة فحلف له فعند ذلك اطمأنّ قلبه وأدخله إلى دار هانيء وقابله مع مسلم بن عقيل، وأخبره معقل بخبره فوثق به وأخذ يبايعه بعد أن أخذ عليه عهد الله وميثاقَهُ ثم قبض منه المال وصار مسلم بن عقيل يشتري به كل ما يلزم للحرب ومعقل ينظر ذلك ويخبر به ابن زياد.

ابن زيد يرسل خلف هانىء

فلما صحّ ذلك عند ابن زياد دعا محمد بن الأشعث الكندي وأسماء ابن خارجة الغزاري وعمرو بن الحجاج الزبيدي وقال لهم: أمضوا إلى دار هانىء، وأتوني به فانطلقوا إليه فوجدوه جالساً على باب داره فقالوا: يا هانىء، الأمير يدعوك لخدمته فأحسّ قلب هانىء وعلم أنّ ابن زياد مصمم على قتله فدخل إلى داره وأعلم مسلماً بذلك. ثم أنه اغتسل وتحفّظ وتقلّد بسيفه وسار مع القوم إلى أن دخل على ابن زياد وسلّم عليه، فلم يردّ عليه السلام وكان قبل ذلك يكرمه فتفكر في أمره ومكث ثلاث ساعات من النهار واقفاً بين يديه متكِئاً على سيفه، ولم يرد له جواباً. ولم يْبدِ لَهُ خِطاباً، فقال له حاجبه: أيها الأمير، أنت تعلم أن هذا الشيخ من أشراف أهل مكة ولم تردّ عليه السلام، ولم تأذن له بالجلوس فأقبل ابن زياد على هانىء يكلّمه كالمستهزىء وهو يقول له: يا هانىء، قد أخفيْت عدوّ يزيد عندك وَواسَيْتَهُ بنفسك، وشَرَيْتَ له السلاح! أتظن أنّ ذلك يخفى عليّ!؟ فقال: معاذ الله أن أفعل ذلك وأنّ الذي حَدّثَك غيرُ صادقٍ فقال له: بل هو أصدق منك! فقال: من يكون هو؟ فقال: يا معقل، أخرج فخرج وكان هو الذي يأتي إلى دار هانىء وينظر أمورهم

فلما أتى ونظره هانيء بين يدي ابن زياد قال: مرحباً يا هانيء أتعرفني؟ قال: نعم أعرفك كافراً فاجراً غادِرَاً وعلم أنه كان من عند ابن زياد وأنه الذي أخبره بما كانوا عليه ثم أن ابن زياد التفت إلى هانيء وقال له: إنك لا تقدر أن تفارقني طرفة عين حتى تأتيني بمسلم بن عقيل أو أُفَرِّق بينك وبين أولادك فغضب هانيء وقال له: إن فعلتَ ذلك لَيُهْرَقَنّ دمك بين سيوف مكة وغيرها فغضب ابن زياد من كلامه وضربه بقضيب كان بيده شقّ جبينه، وسَالَ الدم على وجهه وَلِحْيَتِه، فضرب هانيء يده إلى قوائم سيفه وضربه به وكان عليه جُبّة من الخز فقطعها وجرحه جرحاً مُنْكراً فأعْترضه معقل فضربه هانيء بسيفه قطع رأسه وعجّل الله بروحه إلى النار. فلما رأى ابن زياد ذلك قال: ويلكم! دونكم وإياه، فعند ذلك احاطوا به فحمل فيهم وجعل يضربهم بالسيف حتى قتل منهم اثنين وعشرين رجلاً فتكاثروا عليه فوقع بينهم فأخذوه أسيراً وأوثقوه كتافاً، وأوقفوه بين يدي ابن زياد فقال: يا هانيء، ائتني بمسلم فقال له: يا ويلك! كيف آتيك برجل مِنْ آل بيت رسول الله تقتله!؟ والله ما كان ذلك فأمر بضربه بعمود من حديد حتى قتل رحمة الله عليه. فلما وصل الخبر إلى عمرو بن الحجاج الزبيدي أقبل بأربعة آلاف فارس حاصروا القصر لقتل ابن زياد فلما سمع ابن زياد بذلك قال للقاضي اخرج إلى القوم وقل لهم: إن صاحبكم حيّ لم يُقْتَلْ وإنما اعتقلناه عندنا لأجل حاجة فخرج شريح القاضي إلى القوم وأخبرهم بما قاله ابن زياد فقال عمرو بن الحجاج: إذا لم يُقْتَلْ فالحمد لله، ثم انصرفوا فلما عَظُمَتْ الضجة في دار هانيء لأجل قتله وكثر البكاء. خرج مسلم بن عقيل وجعل يطلب لنفسه مجيرا. ودار في شوارع الكوفة فبينما هو يمشي إذ رأى داراً عالية، وامرأة جالسة على بابها، فوقف ينظر إلى تلك الدار فقالت له المرأة: يا فتى، ما وقوفك

على هذا الباب وفي الدار حريم؟ فقال لها: يا أمة الله ما خطر ببالي شيء من ذلك، وإنما أنا رجل مطلوب وأريد من يجيرني بَقِية يومي هذا فقالت له المرأة: من أيّ الناس أنت؟ فقال: من بني هاشم، أنا مسلم بن عقيل قد غرّني هؤلاء القوم وبايعوني ونقضوا بيعتي فقالت: وأنا من بني هاشم وأحق بإجارتك ثم أنها أدخلته الدار وأجلسته في بيتها وعرضت عليه المأكل والمشرب، فلم يتناول غير الماء فلما جنَّ عليه الليل همّ بالانصراف وإذا بولد المرأة قد أقبل وكان أبوه من جلساء ابن زياد فلما أحسّ بإقباله لم يمكنه الخروج وكانت قد أدخلته في بيت منفرد وصارت تُكْثِر التردّد عليه، وتطيب خاطره، وتؤنسه بالكلام. فلما نظر الولد إلى أمه وهي تُكثر الدخول في هذا البيت وليس لها فيه حاجة قال: يا أماه ما لي أراك تُكثرين الدخول والخروج في هذا البيت وليس فيه حاجة؟ فقالت: يا بُنيّ، أعْرِضْ عَنْ هذا الكلام فَرَدَّده عليها. فلما رأت منه ذلك قالت: يا ولدي هذا رجل من بني هاشم اَسْتَجارَني فأجرته فقال: يا أماه يكون مسلم ابن عقيل؟ فقالت: نعم فقال: أكرميه فقد أحْسَنْتِ ثم أنه بات على باب البيت الذي فيه مُسْلِمٌ إلى وقت السحَر وفتح الباب قليلاً قليلاً وجعل يسعى إلى أن أتى قصر الإمارة فدخل الدِهْليز ووضع أصبعه على أذنَيْهِ ونادى بأعلى صوته النصيحة! وكان في وقتها يتحدّث ابن زياد مع أبيه فقال له أبوه: ما نصيحتك يا ولدي؟ قال: يا أبي إن أمي تجير مسلم بن عقيل في دارنا فلما سمع ذلك ابن زياد فرح فرحاً شديداً وطوّقه بطوق من الذهب الأحمر. ثم دعا بمحمد بن الأشعث الكندي وضمّ إليه خمسمائة فارس وقال له: إنصرف مع هذا الغلام وائتني بمسلم بن عقيل أسيراً فسار محمد ومن معه خَلْفَ الغلام إلى أن قاربوا الدار.

مسلم عليه السلام يقاتل القوم

سمع مسلم صَهِيل الخيل وهَمْهمة الرجال فأقبل على المرأة وقال لها: ما هذه الخيل والرجال؟ فقالت: أظنّها من عند ابن زياد فقال: إئتني بكوز ماء فأتت به فأخذه منها وأسبغ الوضوء، وصلّى ركعتين، ودعا الله ثم نهض وتقلّد بآلة الحرب فقالت: أراك تتهيّأ للحرب؟ فقال: نعم أتهيأ إلى لقاء هذه الرجال لأنهم لم يطلبوا غيري وأخشى أن يهجموا عليّ هنا ولا يكون لي فسحة في المجال فيأخذوني من بين يديك أسيراً ويصيّروني قتيلاً، فعند ذلك بكت المرأة وقالت: ليت الموت أعدمني الحياة ولا أفارقك ثمَ أنّ مسلماً وَدَّعَها وأقبل نحو الباب وخرج. وإذا بالقوم قد أقبلوا عليه فلاقاهُمْ وصاح فيهم وقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل منهم مائة وخمسين فارساً من المبارزين وَٱنْهَزَمَ الباقون والمرأة على السطح تنظره فلما نظر محمد بن الأشعث إلى مسلم وما فعله بالأبطال أرسل إلى ابن زياد يقول له: أدركني بالخيل والرجال فإن مسلماً قتل منّا مقتلة عظيمة! فغضب ابن زياد وأرسل يقول له: إن كان هذا رجلاً واحداً قتل منكم هذه المقتلة! فكيف إذا أرسلناك إلى مَنْ هو أشدّ منه بَأساً وأصْعَبْ مِراساً! فأرسل إليه ابنُ الأشعث يقول: إنك ما أرسلتني إلى رجل من الكوفة وإنما

أرسلتني إلى ليث همام، وأسد ضرغام، وسيفٍ مِن سيوف الله الملك العلام. فعند ذلك أرسل إليه خمسمائة فارس أخر، فلما وصلوا إلى محمد ابن الأشعث سار بهم وقصد مسلماً فلما وصلوا إليه حمل فيهم وصاح عليهم كالأسد الكاسر والوحش النافر وقتل منهم خلقاً كثيراً فلما نظروا إلى شدة بأسه وشجاعته جعلوا يوقدون النار ويرمونه بها ثم بالحجارة ثم بالنبل وهو لا يبالي ولم يزل يقتل فيهم حتى لم يبق إلّا نحو خمسين فارساً فبعث ابن الأشعث نحو ابن زياد يقول: أدركني بالخيل والرجال فبعث إليه ثمانمائة وقال لهم: ويلكم! أعطوه الأمان وإلا قتلكم عن آخركم فلما وصلوا إلى ابن الأشعث نظروا إلى فرسانهم فلم يجدوا منهم إلّا القليل فهجموا على مسلم وقالوا له: ابن الأشعث يعطيك الأمَانَ فقال: لا أمانَ لكم يا أعداء الله وأعداء رسوله. ثم حمل عليهم وجال في أوْسَاطهم ولم يزل يقاتلهم حتى قتل منهم خمسمائة فقال رجل من القوم: يُنْصَب له شرك لا ينفك منه أبداً فقالوا: وما هو؟ فقال: اثبتوا هنا في أماكنكم حتى أحفر له حفرة في الطريق ثم انصرفوا من بين يديه فيجري عليْكم فيقع فيها فأمسكوه. فأقام منهم جماعة قدّامه في القتال والآخرون حفروا بئراً في الطريق كما أمرهم ذلك الرجل وانهزموا قدامه فتبعهم وَهُوَ لا يَعْلم أنهم مكروا به فسقط في البئر فأحاطوا به من كل جانب وأمسكوه وأتوا به إلى ابن الأشعث فضربه بالسيف في محاسن وجهه فلعبت أضراسُه فأخذوه أسيراً وصاروا يسحبونه على وجهه حتى أتوا به إلى قصر الإمارة، فنظر مسلم في دهليزه فرأى كيزاناً معلقة وكان قد عطش فقال للبوّاب: إسقني شربة ماء وأسقيك غداً عوضَها فدفع إليه كوزاً فأخذه من يده وأقامه إلى فيه فلما أحسّ ببرد الماء سقطت ثناياه فيه وصار دماً عبيطاً فامتنع من شربه فقال للبوّاب: خذ كوزك فلا حاجة لي به ولعلي أموت عطشانا، فأخذه

منه فأدخله القوم إلى ابن زياد فلما نظر إليه مسلم قال: السلام على من اتّبع الهدى، وخَشِيَ عواقب الردى، وأطاع الملك الأعلى. فتبسّم ابن زياد ضاحكاً فقال بعض الحجاب: يا مسلم لِمَ لا قلت السلام عليك أيها الأمير؟ فقال: لا أمير غير سيدي ومولاي وابن سيدي وحبيبي وقرّة عيني وابن عمي الحسين بن علي بن أبي طالب، وأنا مسلم بن عقيل، واني لا أخاف من الموت.

فقال ابن زياد: لا بدّ من قتلك في يومك هذا فقال: يا ويلك! إن كان ولا بدّ لي من القتل فاصرف لي رجلا قرشياً أوصيه وصية فقام إليه عمر بن سعد وقال له: يا مسلم، أوصِ حاجتك فقال: أوّلاً، شهادة أن لا إلٰه إلّا الله وأن محمَّداً رسول الله. الثانية، إذا قتلتموني وَارُوا جسدي بالتراب الثالثة، بيعوا درعي هذا وادفعوا ثمنه لفلان فإنَّ له عليّ ديناراً. الرابعة، اكتبوا إلى سيدي الحسين أنه لا يأتيكم لكي لا يصيبه ما أصابني لأنه بلغني أنه خرج من المدينة هو وأولاده وعشيرته قاصداً إلى هنا.

فقال له عمر بن سعد: ما ذكرت من جهة الدرع فنحن المخيّرون، وأما ما ذكرته من جهة الحسين فلا بد من مجيئه وشربه الموت غُصّةً. بعد غصة فعند ذلك التفت ابن زياد إلى عمر بن سعد وقال له: ما الذي أوصاك به فأعلمه بجميع ما أوصاه به فقال ابن زياد: قبّحك الله من مستودع ولكن لو سألني ذلك لفعلته.

مقتل مسلم عليه السلام

ثم دعا برجل من عنده وقال له: إعلم أن هذا قتل من الفرسان ألفاً وخمسمائة فاْصعد به إلى أعلى القصر وألقِهْ على وجهه، فأخذه وصعد به وهو يسبّح الله تعالى ويستغفره ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فلما أراد أن يرميه قال له مسلم: دعني أصلّي ركعتين ثم افعل ما بدا لك فقال: ما لي إلى ذلك من سبيل فعند ذلك بكى مسلم تأسفاً على ابن عمه الحسين وصار ينظر شمالاً ويميناً فلم يلق محباً ولا معيناً فدفعه الرجل من أعلى إلى أسفل فانقضّ على أم رأسه فخرجت روحه فعجل الله بها إلى الجنة. ثم أن جماعة ابن زياد أخذوا جُثّتة مسلم وهانىء وصاروا يسحبونهما في الأسواق.

ابن زياد يرسل إلى يزيد رأس مسلم وهانئ عليهما السلام

ثم أن ابن زياد قطع رأسيهما وأرسلهما إلى يزيد مع هانيء بن جبلة الوداعي والزبير بن الأروح. وكتب يقول الحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بِحَقِّهِ وكفاه شرَّ عدوّه واعلم أيها الأمير، أن مسلم بن عقيل ورد إلى دار هانيء بن عروة وَوَقَعَت عليه العيون فاستخرجتهما والواصل إليك رأسيهُما مع هانيء بن جبلة الوداعي والزبير ابن الأروح اليمني وهما من أهل السمع والطاعة فاسألهما عما شئت وأَوْصِهما بما شئت فإن عندهما علماً صادقاً؛ ثم أمرهما بالمسير بالرؤوس والمكتوب فساروا ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا دمشق ودخلوا على يزيد وسلموا عليه وعرضوا عليه الرؤوس وأعطوه كتاب ابن زياد فأخذه وقرأه وفهم معناه ففرح فرحاً عظيماً. ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب إلى ابن زياد يقول: أما بعد، أيها الأمير فإنك كنت كما أحبّ وَصِلْتَ كصولةِ الأسد والآن قد بلغني أن الحسين خرج من مكة بأهله وأولاده وعشيرته وتوجه إلى نواحي العراق فأنت تسير إليه وتُضَيّق عليه المسالك ولا تتوسّد بوسادة ولا تشبع بزاد حتى تقتله وترسل إلي رأسه ورؤوس من معه ثم طَوَى الكتاب بعد أن كتبه وناوَلَهُ لقَصّاد ابن زياد وخلع عليهم خلعاً سنية. ثم أمرهم بالمسير فتوجهوا

ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا الكوفة ودخلوا على ابن زياد وسلموا عليه وأعطوه الكتاب فقرأه وفهم معناه وكتب إلى الحسين عن لسان مسلم يقول فيه: بسم الله الرحمٰن الرحيم أما بعد، يا ابن العم أن العراق طابت وأتت إلينا بالسمع والطاعة فَعَجِّل إلينا ولا تتأخر. وقلوب الناس معنا، وهم متباشرُونَ بقدومك، فانهض وَاحضر إلينا سريعاً ثم أن ابن زياد طوى الكتاب. وأعطاه لرجل من أهل الكوفة، وقال: أعمد به إلى الحسين وإذ لاقيْته في الطريق أو في المدينة أو في مكة فاعطه له فقال: سمعاً وطاعة فأخذه وسار إلى أن بقي بينه وبين المدينة مرحلة فصادَف الحسين في يوم خروجه منها فلاقاه وكانت عصرية النهار فسلم عليه وأعطاه الكتاب فقرأه وفهم معناه ففرح به فرحاً شديداً، ثم أنه أنزل من معه وقرأه عليهم ففرح به الجميع ثم أمرهم الحسين بالإقامة في ذلك المحل بقية يومهم وليلتهم وكان ذلك اليوم الخامس عشر من ذي الحجة. فلما نزلوا توجّه الرجل إلى ابن زياد وفارقهم في ذلك المحل ولم يزل سائراً في البراري والقفار آناءَ الليل وأطراف النهار إلى أن أتى ابن زياد وأعلمه بخبر الحسين وأنه فرح بالكتاب وعن قريب واصل إلى الكوفة فقام ابن زياد في الوقت وأرسل الحصين بن نمير في ألف فارس يرصد الحسين ويسايره في الطريق إلى أن يدخل الكوفة لئلا يسمع بخبر مسلم فيرجع ولا يقتله فسار الحصين هو ومن معه ولم يزل سائراً الليل والنهار في البراري والقفار إلى أن أتى لقادسية ونزل بها.

مقتل رسول الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة

(قال الراوي): هذا ما كان من أمر الحصين بن نمير وأما ما كان من أمر الحسين فإنه لما بات في ذلك المكان وأصبح أمَرَ قومه بالمسير فركبوا وساروا إلى أن أتوا بطن الرملة ونزل بهم وكتب إلى أهل الكوفة كتاباً يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى مسلم أما بعد، فإن كتابك وَرَدَ عليَّ وقرأته وفرحت بما فيه وما أنت عليه من نصرتنا فنسأل الله أن يحسن لنا ولكم الصنع الجميل، وإني واصِل إليك عن قريب، فإذا وَصَلَ رسولي إليك فاكْتُبُ لي جواباً كافياً بما تريد. ثم أنه ختمه وطواه وأرسله مع قيس بن مُسْهِر فسار به طالباً الكوفة ولم يزل سائراً إلى أن أتى القادسية فإذا بالحصين وعسكره نازِلون فيها فاحاطوا به من كل جانب ومكان وفتّشوه فوجدوا معه الكتاب فأخذوه وأعطوه للحصين فقرأه وفهم معناه فمزّقه وأوْثَق قيساً كتافاً وأرسله إلى ابن زياد فلما وصل إليه قال له من أنت؟ قال: أنا رسول الحسين إلى مسلم قال: ولمن غيره قال لا أقْصِدُ إلّا مسلماً قال: والله لا تُفارِقني حتى تخبرني بأسماء مَنْ أنت قاصدهم وإن لم تُخْبِرْ بهم فَاَصْعَدْ إلى المنبر وسِبّ الحسين ووالديه وإلّا قَطعتك أرباعاً فقال له: لا أعرف أحداً سوى مسلم ولا أسبّ الحسين ووالديه، فقطعه أرباعاً وأرسله إلى يزيد.

وصول الحسين عليه السلام إلى كربلاء

(قال الراوي): هذا ما كان من أمر رسول الحسين وما حصل له، وأما ما كان من أمره فإنه لم يزل سائراً هو ومن معه حتى أتى بلداً وفيها قوم فسألهم عن اسم تلك البَلدة فقالوا له: شط الفرات فقال: هل لها اسم غير هذا؟ فقالوا له: سِرْ يا أبا عبد الله ولا تسأل فقال: سألتكم بالله وبجدّي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تخبروني عن اسمها الثاني فقالوا: اسمها كربلاء فعند ذلك بكى وقال: هي والله أرض كرب وبلاء ثم قال: يا قوم ناولوني قبضة من تراب هذه الأرض فأعطوه قبضة من تلك الأرض فشمه ثم استخرج طينة من جيبه وقال لهم: هذه الطينة جاء بها جبرائيل من عند الله لجدّي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: هذه موضع تربة الحسين ثم رماها من يده وقال: هما رائحة واحدة ثم قال: يا قوم: انزلوا ولا تبرحوا فهٰهُنا والله مناخ ركبنا، وهٰهنا والله يُسْفَكُ دمُنا، وهٰهنا والله يُسْبَى حَريمُنَا، وهٰهنا والله تقتل رجالنا، وهٰهنا والله تذبح أطفالنا. وهٰهنا والله تقطع أوداجي، وتخضب لحيتي بدمي، ويُعَزَّى جدّي وأبي وأُمي ملائكة السماء، وهٰهنا والله وَعَدَ ربي لجدّي، ولا خلف لِوَعْدِهِ ثُم نزل ونزلت أصحابه جميعاً وقد كان الحر أسْرَعَ وحال بين بحر الفرات وبين الحسين ومن معه وكان بينه وبينهم ثلاثة أميال وقيل خمسة وقيل

فرسخ ثم أن الحسين أمر بنصب الخيام للحريم والأولاد وجعل يصلح سيفه وآلة حربه وهو يبكي ويقول هذه الأبيات:

أهل العراق ما لكم خليلُ وما بِكُمْ في جمعكُم فَضيلٌ
والأمرُ في ذلكَ للجليل وكل حيٍّ سالِكٌ سبيل
قد قرب النقلة والرحيل وكل شيء حوله دليلٌ

(قال الراوي): قال علي بن الحسين ولم يزل أبي يردّد هذه الأبياتِ وهو يصلح سيفه وآلة حربه فختقتني العبرة فَرَدَدْتُ دمعي ولزمت السكوت وأما عمّتي فإنها لما سمعته أظهرَتْ الحزن والخوفْ وأقبلَتْ تجرّ أذْيالها حتى دَنَتْ منه وقالت له: يا قرّة عيني، ليت الموت أعدمني الحياة يا خليفة الماضين وحماية الباقين هذا كلامُ مَنْ قد أيْقن بالموت والله لقد أَحْرَقْت قلبي ثم بكت فسمعتها النساءُ فبكين لبكائها وجعلت أم كلثوم تنادي: وامحمداه واعلياه وافاطمتاه واضيعتا بعدك يا ابن بنت رسول الله قال: فعزّاها أخوها وقال: يا أختي تَعَزّي بعزاء الله فإن سكان السماوات يفنون وأهل الأرض كلهم يموتون وجميع البَرِيَّة كلهم يهلكون ثم قال: يا أم كلثوم وأنت يا فاطمة وأنت يا رقية وأنت يا عاتكة وأنت يا سكينة إذا أنا قُتِلْتُ فلا تشقّنَ عليَّ جَيْباً ولا تخدشْنَ عليّ وَجْهاً ثم دخلن الخيام فَتَصَايَحْنَ وَعَلَتْ أصواتهنّ من كلامه بالبكاء والنحيب فدخل عليهن الخيامَ وقال لهنّ: صبراً يا أهل البيت فقالت زينب: لا صبر لنا على فَقْدِكَ، ولا تطيب لنا الحياة من بعدك، كيف لا نبكي وأنت تقول هذا الكلام! ونراك قَتِيلاً، ومالكَ نَهْباً بين العدا، وحريمك سبايَا، وجُثَتُك الطيبة تَذْرُو عليها الرياح فكيف لا نبكي!؟.

ابن زياد يرسل الجيوش الى كربلاء

(قال الراوي): هذا ما كان من أمر الحسين ونزوله بأرض كربلا وأما ما كان من أمر ابن زياد فإنه أتاه رجل من عسكر الحر من غير علة وقال: إعلم أيها الأمير أن الحسين نزل في أرض كربلا وضايقناه ولولانا لرجع إلى المدينة، فعند ذلك أطلق منادياً في الكوفة: يا معشر الناس، مَنْ يأت برأس الحسين فله مُلْكُ الرَيّ عشر سنين وأرسلَ في البصرة منادياً ينادي بمثل ذلك، فقام إليه عمر بن سعد وقال: أنا آتيك برأسه فقال: إمْضِ وامنعه من شرب الماء وائتني برأسه فقال: سمعاً وطاعة، فعند ذلك عقد له راية وأمّره على ستة آلاف فارس ثم أمَرَهُ بالمسير فخرج من عنده وأتى إلى داره فدخلت عليه أولاد المهاجرين والأنصار الذين كانوا في الكوفة وقالوا له: يا ويلك ياابن سعد، لا تخرج إلى حرب الحسين فقال: لست أفعل ثم جعل يتفكر في مُلْكِ الريّ وحرب الحسين فاختارَت نَفْسُهُ ملك الريّ على حرب الحسين ثم جعل يقول:

فوالله ما أدري وإني لواقفٌ ... أُفَكِّر في أمري على خَطَرَيْنِ
أأترك ملك الريِّ والريّ مُنْيتي ... أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
فإن صدقوا فيما يقولون أنني ... أتوب إلى الرحمٰن توبة ميـن
وإن كذبوا فُزْنا بدنيا دنية ... وملك عقيم دائم الحجلين

ألا إنما الدنيا لَخيرٌ معجل		وما عاقل باع الوجود بدينِ
فإن كنت أقتله فقد فاز موعدي		يَقيناً واعلوا عالم الجيشين
ولكنّ رب العرش يغفر زلّتي		ولو كنت فيها أظلم الثقلَيْنِ

(قال الراوي): ثم أنه لما غلبت عليه الشقاوة ركب هو وعسكره إلى أن أتى شاطىء الفرات ونزل بيتاً صوب الحسين ثم لحقه من القادسية ابن الحصين وعسكره ثم أن ابن زياد أرسل لهم شبث بن ربعي في ألف فارس ومحمد بن الأشعث في ألف فارس وشمر بن ذي الجوشن في أربعة آلاف فارس وقد كان أرسل قبل ذلك الحر بن يزيد في ألف فارس وأتبع الجميع بحجر بن الحر باثنين وعشرين ألف فارس وقال له: سر بهم إلى عمر بن سعد وقل له: أن الأمير أرسلهم إليك ويعلمك إن جملة ما عندك من الفرسان أربعون ألف فارس وليس فيهم شامي ولا حجازي ولا مصري بل جميعاً من أهل الكوفة ومعهم السيوف الهندية والرماح الخطية وجميعهم راغبون في قتل الحسين واعلم يا عمر أن أهل البصرة رأوا رسولي وقالوا: والله لا نحارب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(قال الراوي): ولم يزل القوم سائرين كرة بعد كرة حتى نزلوا في كربلاء، وفرقوا بين الماء والحسين ثم أن عمر بن سعد دعا بحجر بن الحر وعقد له راية على ألفي فارس وأمره أن ينزل على مشرعة الغاضريات ويمنع الحسين وأصحابه من شرب ماء الفرات ودعا بشبث بن ربعي وعقد له راية على أربعة آلاف فارس وأمره أن ينزل على المشرعة الأخرى ويمنع الحسين وأصحابه من شرب الماء. فساروا جميعاً ونزلوا في الشواطىء واحتاطوا بالحسين، وضيقوا عليه فلما رأى ذلك رضي الله عنه اتكأ على سيفه وتقرب منهم ونادى بهم: أيها الناس، هل تعرفوني؟ قالوا: نعم فقال: من أنا؟ فقالوا: أنت الحسين بن علي المرتضى فقال لهم: وجدي

من يكون؟ فقالوا: جدك محمد المصطفى فقال: ومن أمي؟ فقالوا: فاطمة الزهراء. فقال: إذا كنتم تعلمون ذلك فبم تستحلّون سفك دمي!؟ وتمنعوني شرب الماء أنا ومن معي!؟ وأبي الساقي على الحوض، ولواء الحمد بيده يوم القيامة، وقد قال جدي صلى الله عليه وسلم: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. وقال: أني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ونحن والله عترته وأهل بيته فقالوا: قد علمنا ذلك كله ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً. فقال الحسين: أعوذ بالله ربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب. ثم أنه رجع ودخل خيمة الحريم والأولاد وهو عطشان فلما رأته النساء بكين وارتفعت أصواتهنّ. فقال لهنّ: اسكتوا فإنّ البكاء أمامكنّ. ثم أنه جلس عندهم حتى أتى الليل، وجمع أهل بيته وأصحابه وقال: يا قوم، إعلموا أنه نزل بي ما ترون وقد جعلتكم في حلٍ من بيعتي وليس في أعناقكم قيود وهذا الليل قد غشاكم فتفرقوا في سواده وذروني وهؤلاء القوم لا يريدون غيري فقال له اخوته وأبناؤه وبنو عمه وعشيرته: حاشا أن نفعل ذلك فماذا تقول الناس لنا؟ وماذا نقول للناس؟ والله لا نفارقك أبداً بل نجعل نفوسنا دونك، وأموالنا دون أموالك، ودماءنا دون دمائك، ونقتل بين يديك. قبّح الله العيش بعدك يا أبا عبد الله فقال لهم: جزيتم خيراً. ثم بات هو وأصحابه تلك الليلة ولهم دويّ بالتسبيح كدويّ النحل، وهم ما بين قائم وراكع وساجد. فلما كان من الغداة أمر الحسين أصحابه أن يحفروا حول خيمة الحريم ففعلوا ذلك ثم جمعوا حطباً وأضرموه فأقبل رجل من عسكر ابن سعد فلما نظر إلى النار صفق بيديه ونادى: يا حسين، إستعجلتم بالنار في الدنيا قبل الآخرة!؟ فقال الحسين: أللهم أذقه النار في الدنيا قبل الاخرة فنفر به جواده وألقاه في النار فاحترق. فقال الحسين ألله أكبر من

دعوة ما أسرع إجابتها ثم برز من عسكر ابن سعد رجل وقال لأصحاب الحسين: أما ترون إلى ماء الفرات وهي تلوح كأنها بطون الحيات! والله لا تذوقون منه قطرة حتى تذوقوا الموت عطشاً فقال الحسين: أللهم اقتله عطشاناً في هذا اليوم فصحبه العطش في ساعته حتى سقط عن فرسه فوطئته الخيل بحوافرها فمات وعجّل الله بروحه إلى النار.

الحسين عليه السلام يقاتل القوم

(قال الراوي): فعند ذلك اجتمع القوم على شاطىء الفرات، وباتوا تلك الليلة والثانية وأصبحوا ثالث يوم وقد ورد كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد يأمره بالقتال، ويحذره من التأخير والاهمال وكان ذلك اليوم الثالث من المحرم. فلما قرأ الكتاب وفهم معناه قام من وقته وركب هو وقومه وزحف بهم على الحسين وأصحابه فركب الحسين ولاقاهم وقاتل فيهم بنفسه ساعة من النهار فقتل نحو ألف فارس.

(قال الراوي): روي عن الصادق رضي الله عنه أنه قال سمعت أبي يقول: إلتقى الحسين وعسكر ابن سعد وقاتل فيهم وقامت الحرب بينهم فأنزل الله النصر حتى رفرف على رأس الحسين ثم خيّر بين النصرة على أعدائه، وبين لقاء ربه، فاختار لقاء ربه على النصرة على أعدائه، فقاتل فيهم حتى قتل منهم ألف فارس ورجع إلى معسكره، ثم برز واحد من جيش الحسين عليه السلام فحمل، ولم يزل يقاتل فيهم حتى قتل منهم مائة وعشرين فارساً ثم قتل رحمة الله عليه فعند ذلك حمل الحسين على القوم وقتل حوله خمسمائة وحمله حتى أتى به إلى قدام خيمة الحريم، ووضعه وقابل الجيش بأصحابه.

مقتل الحر وابنه رضوان الله عليهما

فبرز من عسكر ابن سعد فارس وأتى إلى الحسين وقال: يا أبا عبد الله، إعلم أني أنا حجر بن الحر وأنا أستشهد بين يديك، وبرز في قوم ابن سعد وحمل فيهم ولم يزل يقاتل حتى قتل منهم مائة وعشرين فارساً، ثم قتل رحمه الله. فلما نظر إليه أبوه فرح فرحاً شديداً وقال: الحمد لله الذي استشهد ولدي قدام الحسين ثم أتى إلى الحسين وقال: يا مولاي ولدي استشهد بين يديك، وأنا تابع له فقال الحسين: إصبر حتى آتي بابنك وحمل على القوم ولم يزل يقاتل فيهم حتى قتل منهم ثمانمائة، وحمله وأتى به إلى خيمة الحريم ووضعه فقال له الحر: إئذن لي بالبراز فقال له: ابرز شكر الله فعلك فبرز وهو يقول هذه السجعات:

إني أنا الحر ومقري الضيف	أضرب في أعناقكم بالسيف
عن خير من حلّ بلاد الخيف	أضربكم ولا أرى من حيف

ثم حمل على عسكر ابن سعد، ولم يزل يقاتل فيهم حتى قتل منهم خمسمائة، فلما نظر ابن سعد إلى فعله قال: يا ويلكم! من هذا؟ فقالوا له: الحر بن يزيد هو وولده عصوا علينا وساروا إلى نصرة الحسين فقال: عليّ برماة النبل، فأقبل عليه سبعمائة رام وجعلوا يرشقونه بالسهام حتى

صيروه هو وجواده مثل القنفذ من كثرة النبال، فوقع في عين جواده سهم فاضطرب به الجواد وشبّ به فرماه إلى الأرض فناداهم ابن سعد: يا ويلكم! أدركوه فتكاثروا عليه، وأخذوه أسيراً إلى عمر بن سعد، فأمرهم برمي رأسه عن بدنه فقطعوه ورموه إلى الحسين، فأخذه وجعله بين يديه وقال: رحمك الله يا حر وجعل يمسح الدم عن رأسه وثناياه ويقول: ما أخطأت أمك إذ سمتك الحر فأنت حر في الدنيا والآخرة ثم بكى وجعل يقول:

لنعم الحر حر بني رياح	صبور عند مشتبك الرماح
ونعم الحر إذ فادى حسينا	وجاد بنفسه عند الصباح
ونعم الحر في وهج المنايا	وذي الأبطال تخطو بالرماح
لقد فاز الأُلى نصروا حسينا	وقد حازوا السعادة بالنجاح

الحسين عليه السلام يحمل على أهل الكوفة

ثم أنه وضع رأسه بين القتلى وحمل على القوم، ولم يزل يقاتل فيهم حتى قتل منهم حوالي ألفاً وخمسين فارساً وحمله وأتى عند القتلى ووضعه وقابل الجيش بعزمه فسار شمر بن ذي الجوشن وقال لقومه: يا ويلكم! كروا عليه من كل جانب ومكان، فحملوا عليه حملة رجل واحد. فلاقاهم الحسين بنفسه، وحمل في أوسطهم، وجعل يضرب فيهم يميناً وشمالاً، وكان يحمل على القوم كحملة والده ويأخذ الفارس بيده ويضرب به الآخر فيموت الاثنان ويأخذ الاثنين باليدين ويضرب بهم الاثنين فيموت الأربع والميمون يكظم بفمه على الفارس يقتله ويضرب برجله الفارس يقتله ويضرب بذنبه الفارس يقتله ولم يزل كذلك يكرّ عليهم حتى ترك الرجال تحت سنابك الخيل فلم يترك منهم إلا جريح وصريع وهارب فعند ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب منه ومن حربه ثم أنه رجع إلى الخيمة وأنشد يقول:

أنا ابن عليّ الطهر من آل هاشم ... كفانا بهذا مفخراً حين أفخر

وجدي رسول الله أكرم خلقه ... ونحن سراج الله في الخلق يظهر

وفاطمة أمي سلالة أحمد ... وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر

وفينا كتاب الله أنزل صادقا ... وفينا الهدى والوحي والخير يذكر

ونحن أمان الله للخلق كلهم ... نقول بهذا للأنام ونجهر

وشيعتنا والله أكرم شيعة ... ومبغضنا يوم القيامة يخسر

العباس عليه السلام يحمل نحو الفرات

ثم اشتدّ العطش بالحسين وأصحابه وحريمه فشكوا إليه ذلك فدعا بأخيه العباس وقال له: يا أخي، إذهب إلى الفرات لعل أن تأتي بشيء من الماء فقال له: سمعاً وطاعة. وسار العباس إلى أن أشرف على الفرات فصاحت به الرجال، وتبادرت إليه الأبطال، فصبر لهم وقاتلهم قتالاً شديداً، وقتل منهم رجالاً، وجندل أبطالاً، فتفرقوا من بين يديه. فعند ذلك نزل وأخذ غرفة ليشرب فتذكر عطش الحسين رضي اللّه عنه فرمى الماء من يده وأراد أن يملأ قربة كانت معه فحملوا عليه فركب جواده وقابلهم بسيفه وقد سدّوا عليه المشرعة، وحالوا بينه وبين الحسين وبين الماء فحمل عليهم. وأنشد وجعل يقول:

نحن الفواضل نسل الهاشميات | لسفك تلك الدما بالمشرفيات
يا للّئام وأبناء الرعيات | يا جدنا لو ترى هذي الرزيات
يا خيرها عصبة جادت بأنفسها | ولم تقصر لدى أرض الغاضريات
الموت تحت ذباب السيف مكرمة | إذ كان من بعده اسكان جنات
لا تأسفنّ على الدنيا ولذتها | فعند جدّي تمحى كل زلات

(قال الراوي): فحملت عليه الرجال من كل جانب ومكان، فصرخ

فيهم وحمل عليهم حملة منكرة، وجندل الأبطال، وأفنى الرجال، فلما نظر مارد بن صديق إلى العباس وفعله بالأبطال، مزق ثوبه، ولطم وجهه، وقال لقومه: ويلكم! لو كان كل منكم ملأ كفه تراباً ولطمه به لطمستموه ثم نادى: يا معشر الناس، من كان عليه ليزيد بيعة أو طاعة فليعتزل عن القتال فأنا لهذا الغلام الذي قد أفنى الأبطال فقال شمر بن ذي الجوشن: نحن نترك القتال، ونبعث ليزيد كتاباً أنك أنت وأخوك الأبطال، ثم أشار للقوم أن يعتزلوا عن القتال فاعتزلوا وأقبل المارد إلى نحو العباس وهو منفرد بنفسه متدرع بدرعه، وعلى رأسه بيضة عمادية، وهو راكب على فرس أشقر، وبيده رمح طويل فلما نظره العباس قد انفرد بنفسه تأهب له حتى دنا منه وصاح به: يا غلام، إرم حسامك، واظهر للناس إسلامك، فإن الذين برزوا إليك كانوا رفيقين بك وأنا رجل قد نزعت من قلبي الرحمة ونزل مكانها النقمة وما سمتي أن أحتوي على كبير إلا وأتركه حقيراً غير أني لما نظرت إلى حداثة سنك، وملاحة وجهك، رقّ لك قلبي، فأرجع ولا تباه بنفسك وفي هذا كفاية للعاقل وإني لم أسمح به لأحد غيرك وأنشد وجعل يقول:

ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي خوفاً عليك من الحسام القاطع
ما رقّ قلبي في الزمان على فتى إلّا عليك فكن لذاك بسامع
وأعط القياد تعيش أرغد عيشة أو لا فدونك من عذاب واقع

(قال الراوي): فلما سمع العباس من المارد هذا الكلام قال: يا عدوّ الله، أراك نطقت بالجميل غير أني أرى حبك في سباخ بذرته أو في صخر زرعْتَه فصارت أرضه بَوَاراً وبعيد أنك تحتوي على الشمس بحيلتك أو تخرق البحر بزجرتك والذي أمّلته أن أستسلم إليك، وألقي يدي في يديك فإنّه بعيد والوصول إليه صعب شديد، وأما ما ذكرته من ملاحة وجهي

وحداثة سني فليس ذلك بضاري لأني أعرف من شريف نسبي، وذكاء عملي. وما قد استفدته في ديني مع رياضة نفسي ودخولها وخروجها ومعرفتها بمن يعاديها، والصبر على ملاقاة الرجال، ومواجهة الأبطال، والخبرة بالضرب والطعان، ومعالجة الفرسان، والصبر على البلاء، والشكر على الرخاء، والتوكل على الله، والإشارة في كل شيء إليه فمن كانت هذه الأوصاف فيه فلا يخاف ولا يهوله أمر. وأما أنت يا عدوّ الله وعدوّ رسوله فقد خلت منك الفضائل والخصال والآداب. وقد عرفت يا عدوّ الله أن لي اتصالاً برسول الله وأنا غصن من أغصان تلك الشجرة ومن كان من هذه الشجرة فثقته بالله فلا يدخل تحت الزمام، ولا يستسلم من خوف الحسام، وإذا كان أبي علي بن أبي طالب لم يرجع عن منازل، ولا أفزع من مقاتل، ولا خشي من كثرة القبائل، ولا أدبرعن قتال كل كافر غدار، ولا أسخط فعل الرحمٰن. فأنا منه كالورقة من الشجرة فإن كنت ظننت أني أستسلم إليك فقد خاب ظنك وذهب بها سعيك فنحن ليس ممّن يأسف على الحياة ولا يخشى من الوفاة وإني أعلم أن الذي في الجنة أفضل من هذه الدنيا فكم من صبيّ صغير أفضل عند الله من شيخ كبير.

(قال الراوي): فلما سمع المارد كلام العباس خفق عليه كالعقاب الكاسر وظنّ أن الأمر عليه هين فمكنه العباس من نفسه حتى وصل إلى سنان رمح المارد فجذبه العباس بيده جذبة عظيمة كادت أن تلقيه على الأرض فخلى المارد الرمح من يده وقد خجل عندما مسك العباس رمحه ثم أعاده إليه وقال: يا عدوّ الله وعدوَّ رسوله أنا أرجو الله أن يقتلك بسنان رمحك هذا فجال المارد وانتشط وعظم منه الانتشاط فهمّ به العباس وطعن جواده على خاصرته فشبّ الفرس ووقع على الأرض فلم يكن للمارد طاقة على قتال العباس راجلاً لعظم جسمه وثقل خطوته وغلظ بدنه

فاضطربت الصفوف، وماجت الأبطال، ونادى الشمر في قومه: يا ويلكم! أدركوا صاحبكم بجواد وإلا فهو مقتول لا محالة قال: فخرج إليه غلام أسود يقال له صارفة بحجرة يقال لها الطاوية وهي تضاهي الريح فلما نظرها المارد صرخ بصوت كصوت البعير: يا غلام، عجّل بالطاوية قبل حلول الداهية فأسرع الغلام إليه بها فكان العباس أسرع إلى الطاوية من عدوّ الله فوثب وثبة الأسد ووصل إلى الغلام صارفة وطعنه العباس في لبته فجندله يخور في دمه، واحتوى على الطاوية، وصار على ظهرها وأطلق جواده فخرق الصفوف وأتى إلى الحسين وأما المارد فلما رأى العباس ركب الطاوية تخبل عقله، وظهر جهله، واصفر لونه، وارتعدت فرائصه، وصرخ صرخة وقال: أغلب على جوادي وأطعن برمحي يا لها من معرّة فلما سمع الشمر كلامه أطلق عنانه إليه وتبعه سنان بن أنس النخعي وخولى بن يزيد الأصبحي وجميل بن مالك المحاربي ثم تبعهم الجيش وأرخوا الأعنّة، وقوّموا السيوف، وتبادروا العباس ومالوا نحوه فناداه الحسين: يا أخي، ما استنظارك بعدوّ الله وقد أدركتك اللئام! فنظر العباس إلى سرعة الرجال فكان أسرع منهم إلى خصمه وقال له: تجرع من سناني كأساً روباً وضربه بالسيف فقطع يده وأخذ منه الرمح فقال له: مهلاً يا عباس أكن لك خادماً فقال: وما أصنع بك؟ ثم طعنه طعنة عظيمة فذبحه من أذنه إلى أذنه فمات ثم حمل على القوم وجال في أوساطهم، وهو على الطاوية فما كان غير قليل حتى قتل منهم مائتين وخمسين فارساً. وكان قد قتل منهم خمسمائة وعشرين. فرجعت منه الأعداء مكسورة وقال له الحسين: يا أخي، إستند إليّ حتى أبادرهم عنك فقال له العباس: أين المفر من القضاء؟ ثم إنه جعل يقاتل حتى ركبته الخيل فرجع يطلب أخاه الحسين.

العباس عليه السلام يودع العائلة
ويحمل على القوم

ثم أن الحسين عليه السلام قال للعباس أدخل إلى الحريم وودّعهم وداع من لا يعود فدخل وكان له زوجة وولدان فلاقوه وقالوا له: قد اشتد بنا العطش فقال لهم: مهلاً ثمّ أنه سمع أخاه الحسين وهو يقول: أدركني يا أخي فخرج إليه فوجده يقاتل في القوم والخيل قد أحدقت به وهو يدافع عن نفسه وقد قتل منهم مائتين وثمانين، فحمل فيهم العباس وصدّهم عنه وقال: يا أعداء الله ورسوله لو كان معنا نصفكم لقتلناكم جميعاً. فبينما العباس في الحرب مع القوم إذ كمن له رجل يقال له زيد بن الرقاد فلما مر عليه العباس طلع عليه وضربه على يده اليمنى فبراها كبري القلم وذلك بعد أن قتل منهم أربعمائة وخمسين فلم يبرح عنهم بل أخذ السيف بيده الشمال والتفت إلى الحسين وجعل يقول:

والله لو قطعتم يميني ... لأحمينّ جاهداً عن ديني

وعن إمام صادق أمين ... سبط النبيّ الطاهر الأمين

(قال الراوي): وحمل على القوم فقتل منهم خمسين فارساً بشماله

فقرب منه حُكيم بن الطفيل فقطع شماله فأخذ السيف بساعده وضمه إلى صدره وأنشد يقول:

يا نفس لا تخشي من الكفار وأبشري برحمة الغفار

مع النبي سيد الأطهار قد قطعوا ببغيهم يساري

وقد طغى فينا ولاة العار فأصلهم يا رب حرّ النار

شهادة العباس عليه السلام

ولم يزل يحمل عليهم ويداه تنضحان دماً وقد ضعف عن القتال وهو يقول هكذا: ألاقي جدي المصطفى وأبي علياً المرتضى فحملوا عليه بعد أن قتل منهم خمسة وثلاثين ثم ضربه رجل منهم بعمود من حديد على رأسه ففلقها فانصرع إلى الأرض وهو ينادي: يا أخي يا حسين عليك منّي السلام؛ فحمل الحسين على القوم وحاربهم حرباً شديداً حتى قتل منهم ثمانمائة فارس وأتى إليه وحمله وأتى به وطرحه بين القتلى وبكى عليه بكاء شديداً، ثم خرجت النساء وبكين عليه وعلت أصواتهن بالبكاء والنحيب حتى بكت لبكائهن ملائكة السماء فأدخلهن الحسين إلى الخيام وكان الليل قد أتى فباتوا تلك الليلة وهم يسبّحون الله تعالى، ويحمدونه على ما حلّ بهم.

مقتل جميع الأنصار

(قال الراوي): فلما أصبح الله بالصباح ركب القوم ورجعوا على الحسين فتذكر أخاه العباس وشفقته عليه وجعل ينادي: واغوثي بك يا الله واغياثاه ثم خرج من قومه فارس بعد فارس وكل منهم يقتل مقتلة عظيمة ثم يُقتل فيحمل على القوم ويقتل منهم نحو المائتين والثلاثمائة والأكثر والأقل ثم يحمله ويأتي به إلى موضع القتلى ولم يزل حتى قتلوا جميع الأنصار والمهاجرين الذين معه وهو يأتي بهم واحداً بعد واحد ويفعل بالقوم حسب ما ذكر؛ ثم لما رأى أنه لم يبق معه إلّا بنو عمه وبنو اخوته وأولاده جعل ينظر يميناً وشمالاً فلم ير ناصراً ولا معيناً فعاد ينادي: واغوثاه بك يا الله! واقلّة ناصراه! أما من معين يعيننا! أما من مساعد يساعدنا! أما من طالب جنة يطلب نصرتنا! فخرج عليه من الخيمة غلامان كأنهما الأقمار أحدهما ابن العباس والثاني أخوه القاسم وهما يقولان: لبيك يا مولانا ها نحن بين يديك فقال: كفاكما قتل والدكما فقالا: لا والله يا عمنا بل أنفسنا لك الفداء، إئذن لنا بالبراز فقال لهم: عند الصباح، وكان الليل قد أقبل فباتوا وهم مشتغلون بالتهليل والتكبير ومستعينون بالله الملك القدير.

(قال الراوي): ولما أصبح الله بالصباح، وأضاء بنوره، ولاح ركب

القوم، وزحفوا على الحسين، فقام ولد العباس وقال: إئذن لي يا عماه بالبراز فقال له: ابرز بارك الله فيك وجعل يقول:

أقسمت لو كنتم لنا أعدادا ومثلكم وكنتم فرادى
يا شر جيل سكنوا البلادا وشر قوم أظهروا الفسادا
تركتكم وجمعكم ثمادا أرمي الرؤوس بعد والأجسادا

ثم أنه حمل على القوم، ولم يزل يقاتل حتى قتل منهم مائتين وخمسين فارساً. قال حميد بن مسلم: كان بجانبي رجل عظيم الخلقة فقال: والله لأقتلنَ هذا الغلام فإني أراه شجاعاً، فقلت له: ألم تعلم قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم!؟ فلم يلتفت إليّ وحمل على الغلام وهو مشغول يوهج الحرب فضربه ضربة عظيمة جندله وجعل يخور في دمه فصاح: يا عماه أدركني! فحمل الحسين وفرقهم عنه وأتى عنده فوجده يضرب الأرض برجليه حتى مات رحمة الله عليه، فبكى الحسين وقال: يعزّ على عمك يا ابن أخي تستجير به فلا يجيرك ثم حمله ووضعه بين القتلى، فلما نظره القاسم قال: يعز عليّ فراقك ثم برز وقال: لا حياة لي بعده وكان له من العمر تسع عشرة سنة وأنشد يقول:

إليكم من بني المختار ضرباً يشيب لهوله الطفل الرضيع
ألا يا معشر الكفار جمعا هلموا دونكم ضرب فظيع

ثم حمل على القوم ولم يزل يقاتل فيهم حتى قتل منهم ثمانمائة ثم رجع إلى الحسين وقد غارت عيناه من العطش، وهو يناديّ أدركني بشربة ماء أتقوى بها على عدوي فقال: إصبر قليلاً حتى تلقى جدك المصطفى يسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً! فرجع وقاتل حتى قتل منهم عشرين فارساً ثم استشهد (رحمة الله عليه) فحمل الحسين على القوم وقتل من حوله أربعمائة فارس وحمله ووضعه مع القتلى.

شهادة علي بن الحسين الأكبر عليه السلام

ثم برز على بن الحسين واستأذن أباه في القتال فأذن له ثم نظر إلى وجهه وأسبل عبرته وقال: أشهد الله أنه برز لهم أشبه الناس برسول الله خلقاً وخلقاً ومنطقاً ثم أن ولده علياً الأكبر حمل على القوم وهو ينشد ويقول هذه الأبيات:

أنا علي بن الحسين بن علي ... نحن وبيت اللّه أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي ... أضربكم بالسيف أحمي عن أبي

ضرب غلام هاشميّ علويّ ... من آل بيت الهاشميّ اليثربي

ثم أنه حمل على القوم ولم يزل يقاتل حتى قتل منهم خمسمائة فارس ثم عاد إلى أبيه وقد غارت عيناه من العطش وقال: يا أبي قتلني العطش فبكى وقال: يا بني، قاتل ما أسرع الملتقى بجدك المصطفى يسقيك بكأسه الأوفى. فرجع ولم يزل يقاتل حتى قتل منهم ثمانين رجلاً ثم ضُرب على رأسه فخرّ من ظهر جواده إلى الأرض، ثم استوى جالساً يقول: يا أبت هذا جدي، وهذا أبي، وهذه جدتي فاطمة. ثم استشهد رحمة الله عليه ثم أن الحسين حمل على القوم وقصد الذي قتله وضربه على عاتقه أخرج السيف من ظهره وحمل على القوم وفرقهم عن ولده وبكى عليه بكاء

شديداً وقال: يا بني، يعزّ عليَّ فراقك وحمله من عند القتلى، وصارت أمه سهرانة ولهانة وهي تنظر إليه وتبكي وزينب تنادي: واحبيباه يا ابن أخي، ثم أخذهما الحسين وردّهما إلى الخيمة. ثم برز ابن مسلم بن عقيل وجعل يقول

اليوم ألقى مسلما وهو أبي	وفتية ماتوا من أتباع النبي
وألتقي بسادة نالوا المنى	أولاد مولانا الرسول العربي

ثم حمل على القوم، وقاتل فيهم حتى قتل منهم تسعين فارساً وقتل رحمه الله. ثم برز من بعده جعفر أخوه وحمل فيهم وقتل منهم خمسة عشر فارساً وقتل رحمه الله، ثم برز من بعده محمد عبد الرحمٰن أخوه وقاتل حتى قتل خمسين فارساً وقتل رحمه الله، ثم برز من بعده عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقاتل فيهم حتى قتل منهم عشرة فرسان وقتل رحمه الله، ثم برز من بعده أخوه عون وقاتل حتى قتل ستة وعشرين فارساً وقتل رحمه الله، ثم برز من بعده عبد الله بن الحسن وقاتل حتى قتل منهم أربعة عشر فارساً وقتل رحمه الله، ثم برز من بعده أخوه القاسم وقاتل حتى قتل عشرين فارساً ثم ضربه عمرو الأزري فوق رأسه فوقع على الأرض وهو ينادي: يا أبتاه، فجال الحسين كما يجول الصقر وضرب الأزري بسيفه فقسمه نصفين فصاح حتى سمعه القوم فحملوا ليستنقذوه، فوطئته الخيل ونظروا الحسين وهو قائم على رأس الغلام يبكي ويقول: بعداً لقوم خصمهم يوم القيامة جدك. ثم حمله كما هي عادته أنه إذا قتل أحد منهم يجول حوله ويقتل مقتلة عظيمة، ثم يحمله ويضعه عند القتلى ويقول: قتلت مثل أصحاب النبي وآل النبي. ولم يزل كذلك حتى قتلوا عن آخرهم وهم سبعة عشر منهم: العباس وعبد الله وجعفر وعثمان هؤلاء الأربعة اخوة الحسين من علي وأمهم أم البنين. ومنهم: أبو بكر وعمر أولاد علي

وأمهم ليلى. ومنهم: عبد الله وعلي أولاد الحسين. ومنهم: محمد والقاسم أولاد الحسن ومنهم: محمد وعون أولاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أخي الإمام علي ومنهم: عبد الله وجعفر وعبد الرحمٰن أولاد عقيل بن أبي طالب أخي الإمام علي فهؤلاء السبعة عشر من بني هاشم حفر لهم حفرة مما يلي رجلي الحسين، ودفنوا فيها إلّا العباس فإنه دفن في موضع مقتله بطريق الغاضرية وقبره ظاهر، وأما اخوته الذين ذكروا فمن أراد زيارتهم فعليه بقبر الحسين ويومىء إلى نحو رجليه رضي الله عنه وعنهم، وأما أصحابه الذين استشهدوا بين يديه ودفنوا حوله فليس يعرف لهم أجداث على التحقيق. ولا شك أن الحائر محيط بهم رضوان الله عليهم أجمعين. وأما الحسين فلما قتل من معه جميعاً نظر يميناً فما لقي معيناً ونظر يساراً فما لقي مجيراً بل رأى رفقته كلهم أمواتاً وبقي وحيداً فريداً فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللّهم إنك ترى ما صنعوا وجعل يقول:

يا رب لا تتركني وحيدا	بين أناس أظهروا الجحودا
وصيّرونا بينهم عبيدا	يرضون في أفعالهم يزيدا
وكل شخص قد مضى شهيدا	مجندلاً في دمه فريدا

ثم دخل الخيمة وقال: يا أختي يا زينب ناوليني ولدي الصغير حتى أودّعه فقالت له: هذا ولدك منذ ثلاثة أيام لم يذق الماء، فلعلك تطلب له من القوم شربة ماء. ثم ناولته له فصار يقبّله وهو يتقلب في يده من شدة العطش، ثم تقدم إلى القوم وقال لهم: قتلتم من معي ولم يبق غير هذا وليس لكم عليه ثار وهو يتلظّى عطشاً فاسمحوا لي بشربة ماء، فبينما هو يخاطبهم وإذا بسهم مسموم من فاجر وقع في نحر الولد ذبحه، فجعل أبوه يتلقى الدم بيده ويقول: اللّهم إني أشهدك على هؤلاء القوم، ثم رجع

ودفعه لأم كلثوم فضمته إلى صدرها وبكت وبكين معها جميعا حتى ملائكة السماء. ثم أنها جعلت تقول:

لهف قلبي على الصغير الظامي   فطمته السهام قبل الفطام
غرغروه بدمعه وهو طفل   لهف قلبي عليه في كل عام
أحرقوا قلب والديه عليه   ورموه بنبلة وانتقام
حاكم بيننا الإلٰه جميعا   ولدى الحشر عند فصل الخصام

مشهد الوداع

ثم أن الحسين أراد وداع النساء وهو آيس باكي العين. فلاقته أخته زينب وقالت له: لا أبكى الله لك عيناً فقال: كيف لا أبكي وعما قليل تساقون بين العدا، ونادى: يا أم كلثوم يا رقية يا عاتكة يا سكينة عليكنّ مني السلام فقالت أم كلثوم: يا أخي استسلمت للموت!؟ فقال: كيف لا أستسلم ونفسي بيد غيري، فلما سمعته سكينة رفعت صوتها بالبكاء والنحيب. فعند ذلك بكى الحسين وجعل يقول:

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي ... منك البكاء إذا الحمام دهاني

لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ... ما دام مني الروح في جثماني

فإذا قتلت فأنت أولى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوان

فأبكي وقولي: يا قتيلاً قد مضى ... عجلا على شط الفرات معان

فأبكي وقولي: هدّ ركني بعدما ... كانت تزعزع منه بالأركان

قد كنت آمل أن أعيش بظلّه ... أبدا من الأيام ما يرعاني

أدنى المنايا سكينة عاجلا ... حتى أودعك وداع الفاني

أوصيك بالولد الصغير وبعده ... بالآل والأيتام والجيران

فإذا قتلت فلا تشقّي مئزرا ... أيضاً ولا تدعي ثبور هواني

لكن صبراً يا سكينة في القضا ... ها نحن أهل الصبر والاحسان

لي أسوة بأبي وجدي واخوتي ... أخذوا حقوقهم بنو الطغيان

حمله أخرى للحسين عليه السلام

(قال الراوي): ثم أنه خرج من الخيمة، وركب جواده، وحمل على القوم فانهزموا من بين يديه كالجراد المنتشر، فرجع وقال: لا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم، ثم رجع إليهم ثانياً وقال لهم: ويلكم على ماذا تقتلونني!؟ أعلى عهد نكثته!؟ أم على سنّة غيرتها!؟ أم على شريعة بدّلتها!؟ أم على حق تركته!؟ فقالوا: نقتلك بغضاً منا لأبيك، فعند ذلك غضب الحسين غضباً شديداً وجعل يقول:

خِيرةُ اللهِ من الخلق أبي ... بعد جدي وأنا ابن الخيرتين

والدي شمس وأمي قمر ... وأنا الكوكب وابن النيّرين

فضة قد صبغت من ذهب ... وأنا الفضة وابن الذهبين

من له جد كجدي المصطفى ... أو كأمي في جميع الثَقَلَيْنِ

فاطم الزهراء أمي وأبي ... فارس الخيل ورامي النُبلتين

هازم الأبطال في هيجاته ... يوم بدر ثم أحد وحنين

ابن عم المصطفى من هاشم ... وشجاع حامل للرايتين

ترك الأصنام لم يسجد لها ... مع قريش مذ نشا طرفة عين

أخرت عن سيرها الشمس له ... ليصلي ركعة أو ركعتين

عبد الله غلاماً ناشئاً وقريش يعبدون الصنمين
يعبدون اللات والعزى معا وعليّ قائم بالركعتين
جدّي المرسل مصباح الدجى وأبي المعروف يوم الوقعتين
عروة الدين عليٌّ ذو العلا ساقي الحوض إمام الخافقين
أظهر الإسلام رغما للعدا بحسام قاطع ذي شفرتين
مع رسول الله يسعى نازلا قاتل الأبطال والموفي لدين
كلمة الدين علوا ولها قاتل الجن ببئر العلمين
ترك الأصنام خفضا نازلا ووفى بالحرب فوق النيرين
وأباد الكفر في حملته برجال أبرقوا في العسكرين
فأنا ابن العين والاذن التي أذعن الخلق لها في الخافقين
وبنا جبرئيل أضحى فاخراً وقضى عنا أبونا كل دين
فجزاه الله عنا صالحا خالق العالم مولى المعشرين

ثم حمل على القوم وصرخ في أوساطهم، ودار فيهم وجعل يحصد الأبدان حصداً ويضرب فيهم ذات الطول والعرض وذات اليمين والشمال حتى ترك الرجال تحت سنابك الخيل ودماؤهم كالأنهار ثم ولى النهار، فرجع إلى الخيمة وجراحاته تشخب دماً ثم ضبط القوم كم قتل منهم في ذلك النهار، فإذا هم ألف وخمسمائة وعشرون فارساً فعند ذلك نزل الرعب في قلوبهم وأما الحسين فقد بات تلك الليلة وقد اشتدّ به العطش.

(قال الراوي): فلما أصبح الله بالصباح، حمل على القوم ودخل المشرعة ونزل إلى الماء فلما أحس الجواد بالماء أراد أن يشرب فقال له الحسين: يا ميمون أنت عطشان وأنا عطشان، والله ما تشرب حتى أروى فلما سمع كلامه امتنع من الشرب. ثم أن الحسين نزل من فوق ظهره فرماه ابن نمير بسهم فوقع في فخذه فنزعه وتلقى الدم بيده وقال: يا رب

إليك المشتكى ممن أراقوا دمي ومنعوني شرب الماء أنا ومن معي ثم اغترف الماء بيده وأراد أن يشرب وإذا بعمر بن سعد قال: يا قوم وحق بيعة يزيد إن روي الحسين بالماء أفناكم جميعاً. فناداه خولى بن يزيد الأصبحي: يا حسين، خيمة الحريم حرقت وأنت حيّ، فنفض الماء من يده وركب جواده وأقبل نحو الخيمة فوجدها سالمة، فعلم أنها مكيدة وأما أم كلثوم فقالت: يا سكينة، قد جاءنا الماء فخرجن جميعاً فرأوه وهو مخضب بدم الجراح فصرخن بالبكاء والنحيب فقال لهم: تعزّوا بعزاء الله ثم رجع يطلب الماء فلم يصل إليه.

مصرع الحسين عليه السلام

فحمل على القوم وهو كالأسد فتناهدت الأبطال وأحاط به الرجال وتراشقوه بالنبال، وهو يزعق فيهم ويزداد انتشاطاً حتى قتل منهم ألفا وستمائة فارس وهو مع ذلك يطلب شربة ماء، وقد ضعفت قوته ونشف فمه ولسانه من العطش وقد أصابه من القوم جراحات كثيرة وصارت النبال في درعه كالشوك في جلد القنفذ، فوقف يستريح لضعفه عن القتال فأتاه سهم له ثلاث شعب فوقع في قلبه. فقال: بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله ثم نزع السهم فخرج من موضعه مزراب من الدم فضعف لذلك وصار كلما أتاه رجل من كندة صرفه عن نفسه بنفسه وقد اشتد عليه حاله وأمره، فلما ضعف وقلّت همّته أتاه رجل من كندة يقال له مالك بن النسر وضربه على رأسه فامتلأ البرنس دماً فتبادرت إليه الفرسان من كل جانب ومكان وطعنه صالح بن وهب المزني على خاصرته فسقط إلى الأرض على فخذه الأيمن ثم ضربه زرعة بن شريك على كتفه الأيسر فصرعه فضربه الآخر على عاتقه فأكبه على وجهه فطعنه سنان بن أنس النخعي في ترقوته ثم طعنه الأخرى في صدره فجلس قاعداً فرماه بسهم في نحره ثم نزعه وجعل يتلقى الدم بيده وخضّب به رأسه ولحيته وهو يقول: هكذا ألقى الله وأنا

مظلوم مخضّب بدمي مغصوب مني حقي فقال عمر بن سعد لرجل: أنزل له واذبحه فبادر إليه خولى بن يزيد الأصبحي ليحزّ رأسه فارتعد ورجع فنزل إليه سنان بن أسد النخعي فأخذ بلحيته وجعل يضربه بالسيف في حلقه ويقول: والله لآخذ رأسك وقد أعلم أنك ابن بنت رسول الله، ففتح عينيه فولى هارباً، فلقيه الشمر بن ذي الجوشن فقال: لم لا تقتله؟ فقال: قد فتح عينيه في وجهي فتذكرت شجاعة أبيه فخفت منه. فقال: ويلك! هلمّ إليّ بالسيف والله لم يكن أحد أحق مني بدم الحسين، ثم نزل عن جواده وأقبل على الحسين وركب على صدره، وسلّ السيف وحطه على نحره وهمّ أن يذبحه ففتح الحسين عينيه وقال: من أنت؟ لقد ارتكبت والله إثماً عظيما أما تستحي من الله ورسوله؟ فقال: أنا الشمر بن ذي الجوشن فقال له الحسين. ويلك! أما تعرفني؟ قال: أنت الحسين وأبوك علي بن أبي طالب فقال: إذا كنت تعرف ذلك فلم تقتلني؟ فقال: أطلب الجائزة بذلك من يزيد فقال: يا ويلك! أحبّ إليك الجائزة من يزيد أو شفاعة جدي!؟ فقال له دانق من الجائزة أحبّ إليّ من أبيك وأنت فقال: إذا كان ولا بد من قتلي فاسقني شربة ماء فقال: هيهات أن تذوق الماء بل تذوق الموت غصّة بعد غصة وجرعة بعد جرعة، فقال له الحسين: إكشف لي عن لثامك فكشفه فإذا هو أبرص أعور أبقع له بوز كبوز الكلب، وشعر كشعر الخنزير، فقال الحسين: الله أكبر لقد صدق جدي فقال له: وما قال جدك؟ فقال: قال لي يقتلك رجل فيه أوصاف الكلب والخنزير، فقال له: تشبهني بالكلب والخنزير والله لأقتلنّك يا حسين شرّ قتلة واعلم أن ما من مسلم إلا وله عند الله شفاعة يوم القيامة إلا أنا. ثم ضرب الحسين في مذبحه بالسيف مراراً فلم يقطع منه شيئاً فقال: والله إن سيفك لا يقطع موضعاً يسبح الله فأكبه على وجهه وجعل يحتزّ رأسه ويقول:

أقتلك اليوم ونفسي تعلما ... علماً يقيناً ما به توهما

أن أبـاك خـيـر مـن تـكـلـمـا وهـو صـهـر لـلـنـبـيّ الـمـكـرمـا
أقـتـلـك الـيـوم وسـوف أنـدمـا وسـوف أصـلـى أخـراً جـهـنّـمـا

ثم احتزّ رأسه ورفعها على رمح ودفعها إلى الأصبحي. وكبّر العسكر ثلاث تكبيرات؛ فعند ذلك زلزلت الأرض، وأظلم المشرق والمغرب. وأخذت الناس الصواعق، ثم نادى منادٍ من السماء: قد قتل الإمام ابن الإمام أبو الأئمة، وله من العمر ثمانية وخمسون سنة وكان ذلك اليوم يوم الاثنين العاشر من المحرم ثم بعد أن انكشف ما بهم تقاسموا سلبه فأخذ عمامته عمر بن يزيد وأخذ رداءه يزيد بن سهل وأخذ درعه وخاتمه سنان ابن أنس النخعي وأخذ ثوبه ونعله محمد بن الأشعث الكندي وأخذ سيفه مالك بن النسر.

بعد الشهادة

(قال الراوي): ففي تلك الساعة، ارتفع إلى السماء غبرة سوداء مظلمة، ومعها ريح حمراء، ثم ظن القوم أن العذاب قد حلّ بهم. وروي عن الصادق رضي الله عنه أنه قال: لما قتل الحسين ضجّت الملائكة إلى الله وقالوا: يا ربنا يفعل هكذا بالحسين وهو ابن بنت نبيك فقال لهم: بهذا أنتقم منهم. وعن هلال بن نافع أنه قال: كنت واقفاً مع عمر بن سعد أتحدّث وإذا بصياح يقول: أبشر أيها الأمير فقد قتل الحسين فوالله ما رأيت قتيلاً مضمّخاً بدمه مثله ومع هذا قد شغلني نور وجهه وجماله وهيبته عن الفكرة في قتله ثم حصيت ما في بدنه من جراح السيوف والرماح والنبال فوجدتها مائة وعشرين جرحاً.

جواد الحسين عليه السلام

(قال الراوي): ثم أن جواد الجسين جعل يحمحم ويتخطّى القتلى في المعركة قتيلاً بعد قتيل حتى وقف على الجسد الشريف فوجده بلا رأس فجعل يدور حوله ويمرّغ ناصيته في دمه، فلما نظر إليه عمر بن سعد قال للقوم: ويلكم! إئتوني به فركبوا خلفه وكان من جياد خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم والأصح أنه الميمون، فلما أحسّ الميمون بذلك جعل يمانع عن نفسه ويلطم بفيه ويضرب برجليه حتى قتل منهم ستة وعشرين فارساً وتسعة من الخيل، فصاح عمر بن سعد ويلكم! اتركوه لأنظر ما يصنع فبعدوا عنه. فلما رأى الناس تفرقت عنه أمن ورجع إلى الجسد الشريف، وجعل يمرّغ وجهه ويقبّله بعينيه ويصهل حتى ملأ البرية من صهيله ثم قصد إلى خيمة النساء. فلما سمعن صهيله أقبلت زينب على سكينة وقالت: قد جاء الماء فاخرجي إليه لتشربي، فخرجت فوجدت السرج خالياً والجواد يصهل وينعى فصاحت: واقتيلاه! واغريباه! واحسيناه! هذا الحسين بين العدا مسلوب العمامة والردا بدنه بالأرض ورأسه على القنا واليوم يصير ماله وعياله بين العدا يا غريباً لا يرتجى! وجريحاً لا يداوى! ثم التفتت إلى الميمون فرأته يبكي ويصهل فأنشدت:

فويلك يا ميمون فارجع بسرعة ... وخبر عن السبط الشريف هدىٰ الملا

وأين تركت السبط ميمون قل لنا ... وأين الذي قد كان للخطب حاملا

أميمون تغدر بالحسين وما لنا كفيل وللحمل الثقيل تحملا
أميمون ضيّعت الحسين وجئتنا تحمحم في خيماتنا ثم تصهلا
أميمون أسقيت الحسين حمامه وبين الأعادي في دماه تجندلا
أميمون هلا قد فديت جنابه ولكن قضاء الله أصبح منزلا
أميمون أشفيت العدا من ولينا وألقيته بين الأعادي مجندلا
أميمون فارجع لا تطيل خطابنا فما عدت ترجو ودّنا وتُؤملا
تيتّمت يا ذلّي لفقدك يا أخي وقد عدت بعد العزّ والمجد ذلّلا
أخي من نرى من بعد فقدك يا أخي يدافع عنا من يصول من الملا
أخي من نراه حامياً ومناصراً لقد هدّ هذا اليوم عزمي وعطّلا

فما أتمّت شعرها إلّا وقد خرج النساء بجمعهنّ وتصارخن، ثم بكت فاطمة بنت الحسين وقالت: واأبتاه! واغريباه! واضيعتاه بعدك يا أبا عبد الله! ثم قالت:

مات الفخار ومات الجود والكرم واغبرت الأرض والآفاق والحرم
وأغلق الله أبواب السماء فلا ترقى لنا دعوة تجلى بها النقم
غاب الحسين فوالهفي لغيبته وصار يعلو علينا بعده الظلم
يا قوم هل من فدا يا قوم هل عوض تفديه والله هذي الناس والأمم

(قال الراوي): قال عبد الله بن قيس: رأيت الجواد رجع من عند الحريم، وحمل على القوم حتى وصل إلى الجسد الشريف، فجعل يودّعه ويمرّغ ناصيته فوق أقدامه، ويصهل ثم قصد الفرات وغاص فيه. ولم ير له خبر بعد ذلك وقيل: أنه يخرج مع المهدي(عج) ويكون راكبه ثم لما انفض أمر الميمون أمر عمر بن سعد بحصر من قتل منهم في تلك المعركة فبلغوا ثلاثين ألف فارس وراجل. ثم لما أخبروه بذلك قال: دونكم الخيام انهبوها.

الهجوم على الخيمات

فدخلوا وجعلوا يسلبون ما على الحريم والأطفال من اللباس. ثم قطعوا الخيام بالسيوف فخرجت أم كلثوم وقالت: يا ابن سعد، الله يحكم بيننا وبينك ويحرمك شفاعة جدنا، ولا يسقيك من حوضه كما فعلت بنا وأمرت بقتل سبط الرسول، ولم ترحم صبيانه، ولم تشفق على نسائه، فلم يلتفت إليها. قالت زينب أخت الحسين: كنّا ذلك الوقت جلوساً في الخيام، إذ دخل علينا رجال وفيهم رجل أزرق العيون فأخذ كل ما كان في خيمتنا التي كنا مجتمعين فيها، ثم نظر إلى عليّ الصغير ابن الحسين وهو مطروح على قطعة من الأديم فجذبها من تحته ورماه على الأرض. قالت زينب فخنقتني العبرة فقلت له: قطع الله يديك ورجليك وأذاقك الله النار في الدنيا قبل الآخرة.

(قال الراوي): فما كان إلا قليلٌ حتى ظهر المختار بن ابي عبيدة الثقفي طالباً بثار الحسين، فوقع في يده ذلك الرجل وهو خولى بن يزيد الأصبحي فقال له المختار: ما فعلت بعد قتل الحسين؟ قال: أخذت قطعة أديم من تحت طفل مريض، وسلبت قناع امرأة وقرطاً كان في أذنيها، وأخذت خلخالاً كان في رجلي طفلة صغيرة. فقال له: أيّ ذنب أعظم من

هذا!؟ أما سمعت قولها لك؟ قال: سمعتها تقول قطع الله يديك ورجليك وأذاقك النار في الدنيا قبل الآخرة فقال: والله لا جاوزت دعوتها ثم قطع يديه ورجليه وأحرقه بالنار وذهب.

(قال الراوي): ثم أقبلوا على ابن الحسين وهو ضعيف وأرادوا قتله. فلما رأتهم أم كلثوم أقبلت وطرحت نفسها عليه ونادت: واقلة ناصراه يا قوم! إن كان ولا بد من قتله فاقتلوني قبله فقال بعضهم لبعض: يا قوم هذا صبي صغير فلا يحل قتله. ثم أن زينب قالت: يا ابن سعد لِمَ تدعونا قال: أريد بكم عبيد الله بن زياد فقالت: يا ابن سعد بالله عليك مر بنا على جسد الحسين حتى نودعه قبل الفراق فقال: سمعاً وطاعة ثم أخذهن إلى الحسين فلما رأينه بلا رأس صحن وبكين وجعلت زينب تبكي وتقول:

لقد حط فينا من زمان نوائبه ... وفرّقتنا أنيابه ومخالبه
وجار علينا الدهر في أرض غربة ... ودبت علينا بالرزايا عقاربه
وأردوا أخي بالقتل عمداً وخيبة ... وقد خلّفوه للأسى ونوائبه
وجار علينا البين مع غاية الردى ... وطمت رزاياه وحلت مصائبه
حسين لقد أمسى قتيلاً مجندلا ... وأظلم من دين الإلٰه مذاهبه
فلم يبق لي ركن ألوذ بظلّه ... وَمن ذا يعاني الدهر من ذا يغالبه
وفرّقنا هذا الزمان مشتتا ... وأرخت علينا الفاجعات نكائبه

ثم أنها لما فرغت من شعرها صاحت سكينة وجعلت تقول:

قد سبتنا حسين هذي الأعادي ... مثل سبي العبيد بين البوادي
قد سبوا مهجتي بقتل حسين ... وهو سؤلي وبغيتي ومرادي
يا وحيد الزمان قرة عيني ... قد قضوا منك ما لهم من مراد
ابن بنت الرسول وابن عليّ ... أنت هادي الورى لطرق الرشاد
رفعوا رأسه على رأس رمح ... ولها بارق كقدح الزناد

وبنو أحمد يقادون جهرا ... وبطعن العدوّ فوق الجياد
وكذا نحن بعدكم هتكونا ... ورمونا بمقتهم والعناد
ما رعوا حرمة لمجد نبي ... سيد فاق بالهدى والرشاد
ظلموا بنته البتول وعاثوا ... بفساد لهم بكل عناد
وعليّ المرتضى فجعوه ... بحسين ورهطه في الجلاد
يا ابن سعد قد ارتكبت عظيما ... سوف تصلى السعير يوم المعاد
يحكم الله بيننا وبينك فيه ... ذلك الحشر بين كل العباد

(قال الراوي): قال بعضهم: لم أنس زينب وهي واضعة يدها على رأسها وهي تقول: وامحمداه هذا الحسين مرمّل بالدماء، صريع بكربلاء، مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا، وإلى الله المشتكى وإلى محمد المصطفى وإلى علي المرتضى وإلى حمزة سيد الشهداء قال: ثم بكت وقالت: والله على كل شيء شهيد وحفيظ، ثم أنها أخذت بيد فاطمة الصغرى بنت الحسين، وهو كان يحبها حباً شديداً فجعلت تمرغ خدها وشعرها في منحر أبيها وهي تنادي: واأبتاه يعزّ عليّ أن أناديك وتخيبني.

المسير بالعيال والأطفال

(قال الراوي): فأمر ابن سعد أن تؤخذ النساء عن جسد الحسين بالرغم عنهنّ فحملوا على أقتاب الجمال بغير غطاء ولا وطاء وساقوهم كما تساق سبايا الروم في شر المصائب والهموم وتركوا القتلى مطروحين بأرض كربلا. فتولى دفنهم قوم من بني أسد فصلوا على تلك الجثث الطاهرة المرمّلة بالدماء ودفنوهم على ما هم عليه وارتحل العسكر إلى الكوفة ومعهم ثمانية عشر رأس علوي قطعوهم وقت قطع رأس الحسين وهم اخوته وأولاده وبنو عمه وشالوهم على أطراف الرماح وشهروها على الأعلام. ورأس الحسين قد صعد له نور من الأرض إلى السماء مثل العمود المستقيم بلا انحراف. وكان القوم يسيرون في الظلام على نوره وصيروه على رأس عمر بن سعد إلى أن دخلوا الكوفة.

وصول آل الحسين عليه السلام الكوفة

قال مسلم الجصاص: كنت في ذلك اليوم دعيت لأجصص دار ابن زياد فبينما أنا أشتغل وإذا بالأصوات قد ارتفعت في جوانب الكوفة فسألت خادماً عن ذلك فقال: سيأتي إلينا رأس خارجي فقلت. ما اسم صاحبها؟ فقال لي: الحسين فلما سمعت ذلك تركته حتى خرج ثم لست عمامتي وثيابي بعد أن غسلت وجهي ويدي ورجلي وخرجت من القصر فوصلت الرأس وأنا على بكاء عظيم فرأيت أهل الكوفة لابسين الثياب الفاخرة وهم يرتقبون رأس الحسين عند دخوله. وبعد قليل أقبلت الجمال وعليها حريم الحسين والشهداء وهم بغير وطاء ولا غطاء وزين العابدين راكب على بعير وهو ضعيف ورأيت أفخاذهم تشخب دماً. ولما رأى زين العابدين أهل الكوفة مرتقبين دخولهم مع رأس ابن بنت سيد المرسلين، ثم بكى بكاءً عظيماً ثم أنشد وجعل يقول:

يا أمة الشر لا يدنو مزاركم ... يا أمة لم تراع جدّنا فينا

غداً فإنّ رسول الله يجمعكم ... يوم القيامة عدّا ما تقولونا

يا أمة الشر ما هذا الترقب في ... تلك المصائب لا تبكون داعينا

تصفقون على أيديكم فرحاً ... وأنتم في فجاج الأرض تسبونا

أليس جدّي رسول الله ويحكم هادي البرية عن سبل المضلينا

(قال الراوي): فصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين في المحامل الخبز فصاحت أم كلثوم: يا أهل الكوفة، الصدقة حرام علينا أهل البيت، ثم أخذت ما أعطوه للأطفال، ورمته عليهم، فعند ذلك ضجت الناس بالبكاء والنحيب وهم ينظرون إليهم فنظرت إليهم أم كلثوم وقالت: غضّوا أبصاركم عنّا فلما سمعتها النساء في الربوع بكين عليهن فقالت: ويحكنّ! تقتلنا رجالكم وتبكي علينا عيونكم! الله يحكم بيننا وبينكم، فوالله ما حبست عنا نصرة الله في الدنيا إلا لاكتساب نعيم الآخرة بارتفاع مقامنا في الآخرة وأنتم سوف تردّون إلى جهنم يا ويلكم! أتدرون أي دم سفكتم!؟ وأي رحم قطعتم!؟

خطبة العقيلة زينب عليها السلام
وأم كلثوم وزين العابدين عليه السلام

قال بشير الأسدي: نظرت إلى زينب بنت عليّ فكأنها هي ورأيتها قد أومأت للناس أن اسكتوا فهدأت الأنفاس، وسكتت الأصوات ثم قالت: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أيها الناس، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾، قتلتم سبط خاتم النبوة سيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم، ومنار حجتكم، ويلكم! أتدرون أيّ كريمة له سبيتم! وأيّ دم له سفكتم! ثم بكت فتقدمت أم كلثوم وقالت: ويلكم! قتلتم حسيناً وخذلتموه ونهبتم أمواله وورثتموه! وسبيتم نساءه وهتكتموهن! أيّ داهية دهتكم! وأيّ مصيبة أصابتكم! وجعلت تقول:

قتلتم أخي ظلماً فويلكم غداً ... ستصلون ناراً حرها يتوقد
سفكتم دماءً حرم اللّه سفكها ... وحرّمها القرآن ثم محمد
ألا فأبشروا بالنار يا أهل كوفة ... جهنم فيها جمعكم سيخلد
وإني لأبكي في حياتي على أخي ... على خير من بعده لبس يوجد

(قال الراوي): فضجّت الناس بالبكاء، فتقدم زين العابدين وأومأ للناس أن استكوا فسكتوا. فقال: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أعرّفه بنفسي، أنا علي بن الحسين بن علي، أنا ابن المذبوح بشط الفرات، أنا ابن من تهتكت حريمه، وانتهب ماله، وسلب نعيمه، فأيّ عين تنظرون بها رسول الله!! إذا قال لكم: قتلتم عترتي، وهتكتم حريمي، فلستم من أمتي، فعند ذلك ارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب. وقال بعضهم لبعض: هلكتم ثم بكى عليّ زين العابدين وجعل يقول:

قتلتم علياً قبل ذلكم الرضي لقد كان خيراً من حسين وأكرما
فلا تفرحوا يا أهل كوفة بالذي أصاب حسيناً كان ذلك أعظما

(قال الراوي): فبينما هم في الكلام وإذا بَضَجّة قد ارتفعت والرؤوس قد طلعت من فوق الرماح يتقدمهم رأس الحسين وهو أشبه الناس برسول الله فلما رآهم علي زين العابدين سكت من شعره وبكى.

في مجلس ابن زياد

(قال الراوي): ثم إنهم دخلوا بالرؤوس على عبيد الله بن زياد وأنزلوا رأس الحسين من فوق الرمح ووضعوه بين يديه، فجعل ينكث ثَنَاياه، ويتكلم بكلام يغضب الله، ثم أدخلوا السبايا عليه، وأوقفوهم بين يديه. فقال عليّ سوف نقف وتقفون ونسأل وتسألون فأيّ جواب تردّون!؟ وبخصام جدنا لكم إلى النار تقادون! فسكت ابن زياد ولم يردّ له جواباً ثم قال: أيّكم أم كلثوم؟ فقالت: ما تريد مني يا عدوّ الله!؟ فقال: قبّحكم الله! فقالت: يا ابن زياد، إنما يقبح الفاسق والكاذب، وأنت الكاذب والفاسق. فابشر بالنار فضحك من قولها. وقال: إن صرت إلى النار في الآخرة فقد بلغت مرادي وما أؤمله. فقالت: يا ويلك! قد أرويت الأرض من دم أهل البيت. فقال لها: أنت شجاعة مثل أبيك ولولا أنك امرأة لضربت عنقك.

وقال ابن زياد: يا زينب، أرأيت صنع الله في أخيك وكيف قطع دابركم، لأنه كان يريد الخلافة ليتمّ بها آماله، فخيّب الله منها رجاءه وآماله فقالت: يا ابن زياد، إذا كان أخي طلب الخلافة فهي ميراث أبيه وجده وأما أنت يا ابن زياد فردّ جواباً إذا كان القاضي الله، والحكم جدي،

والشهود الملائكة، والسجن جهنم، وإنما هؤلاء القوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم. وغداً يجمع الله بينكم وبينهم فتحاجج وتخاصم فقال: قد شفي قلبي من الحسين وأهل بيته فقالت: إذا كانت قرة عينك بقتل الحسين فسوف ترى ممّن قرّت عينه به قبل وكان يقبله ويضعه على عاتقه ثم بكت.

فقال زين العابدين وقد نظر إلى ابن زياد وقال له: إلى كم تهتك عمتي بين العرب!؟ فقال من هذا الغلام؟ فقالوا: هذا علي بن الحسين. فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين فقال له: كان لي أخ يسمى علي ابن الحسين قد قتله الناس، فقال: بل قتله الله. فقال: الله يتوفى الأنفس حين موتها. فقال لحاجبه: خذ هذا الغلام إضرب عنقه. فقام الحاجب ومسكه وجذبه إليه فمسكته زينب وقالت: يا ابن زياد، نذرت على نفسك أنك لا تبقي من نسل محمد صغيراً ولا كبيراً فسألتك بالله لا تقتله حتى تقتلني ثم جذبته إليها وصرخت. فنظر إليها ابن زياد وقال: اتركوه لها فقال له: أنت بالقتل تهددني! أما علمت أنّ القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة. فعند ذلك أمر ابن زياد باجتماع الناس في الجامع فجمعوا فقام ودخل عليهم وصعد المنبر وجعل يسب علياً وأولاده ثم قال: الحمد لله الذي أظهر الحق ونصر يزيد وقتل الكذاب ابن الكذاب.

موقف مشرّف لعبد اللّه بن عفيف الأزدي رضوان اللّه عليه

فقام إليه رجل من أوسط الناس يقال له: عبد الله بن عفيف الأزدي وكان شيخاً كبيراً مكفوف البصر وقال له: قرض الله فاك، وقطع يديك ورجليك، إنما الكذاب ابن الكذاب أنت أتقتل أولاد الأنبياء والمرسلين وتتكلم بهذا الكلام على منابر المسلمين. فغضب لذلك وقال من المتكلم؟ فقال: أنا يا عدو اللّه، أتقتل الذرية الطاهرة وتزعم أنك على دين الإسلام! فازداد غضبه وانتفخت أوداجه. وقال عليّ به فابتدروا إليه ليأخذوه فقامت الأشراف من بني عمه فخلصوه وأخرجوه وانطلقوا به إلى منزله فلمّا عسعس الليل دعا ابن زياد بخولى بن يزيد الأصبحي وضم إليه خمسمائة فارس وقال: إمض وائتني برأس ابن عفيف الأزدي. فلما بلغ ذلك الأزديين اجتمعوا ليمنعوهم من صاحبهم فبلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد بن الأشعث وأمره أن يقاتل القوم فمضى وقاتلهم قتالاً شديداً فانهزم الأزديون ثم وصلوا إلى بيت ابن عفيف، وكسروا الباب ودخلوا وكان له ابنة صغيرة فقالت: يا أبت قد هجم عليك عسكر ابن زياد فقال لها: ائتني بالسيف وقفي ورائي وقولي: يمينك شمالك بين يديك ففعلت ما أمرها وأوقفته في مضيق وجعل يقاتل حتى

قتل ثلاثة وعشرين رجلاً ثم قال: ثم جعل يقاتل ويذب عن نفسه وابنته تقول: القوم عن يمينك، القوم عن شمالك، القوم بين يديك، ولم يزل كذلك حتى قتل منهم سبعة وعشرين، فلما رأى القوم أنه قتل منهم خمسين فارساً حملوا عليه من كل جانب ومكان وأخذوه أسيراً إلى ابن زياد. فقال له: الحمد لله الذي أعمى عينيك وقلبك فلا بد من قتلك فقال: أنا قد سألت الله أن يرزقني الشهادة على يد شر خلقه، وما أظن أن في خلق الله شراً منك، فعند ذلك أمر بضرب عنقه فضرب عنقه رحمه الله. ثم لما أصبح الله بالصباح، أمر ابن زياد أن يطوف القوم برأس الحسين ويشهروه بالكوفة فشالوه على رمح وطافوا به. قال زيد بن أرقم مرّ عليّ برأس الحسين وهو على رمح طويل فلما دنوا مني سمعته يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ فرفعت صوتي وناديت رأسك أعجب يابن بنت رسول الله ثم بكى. وجعل يقول:

رأس الحسين بن النبيّ محمد ... للناظرين على قناة يرفع

والمسلمون بمنظر وبمسمع ... لا منكر منهم ولا متفجع

كحلت بمنظرك العيون عماية ... وأصمّ شأنك كل أذن تسمع

أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى ... وأنمت عيناً لم تكن تتهجع

ما روضة إلّا نمت أثمارها ... ما حفرة إلّا وفيها مضجع

(قال الراوي): ثم لما أن طافوا بالرأس جميع الكوفة سلموه إلى عمر المخزومي وأمروه أن يحشوه مسكاً وكافوراً ففعل ذلك فما تمّ فعله حتى بليت يده ووقعت بها الآكلة وانهارت ثم أن ابن زياد كتب كتاباً إلى يزيد يخبره بقتل الحسين وأهل بيته وأرسله مع قاصد من عنده فلمّا وصل إليه الكتاب ردّ له الجواب من وقته يأمره بحمل رأس الحسين ورأس أهله ومعهم الحريم والأطفال إلى دمشق فعند ذلك استدعى ابن زياد بخولى بن

يزيد وشبث بن ربعي وحجر بن الحصين. وضمّ إليهم الرؤوس والحريم والأطفال وأمرهم أن يسيروا إلى يزيد بدمشق وأن يشهروا ما معهم في سائر البلدان فساروا بهم كما تسير سبايا الروم وهم على أقتاب الجمال بلا وطاء ولا غطاء وهم باكون ذليلون والرؤوس على الرماح مرتفعات.

(قال الراوي): ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا أوّل منزل نزلوا به فسمعوا أم كلثوم تقول:

ماتت رجالي وأفنى الدهر ساداتي ... وزاد بي حسرات بعد حسرات

ما للّئام علينا بعدما علموا ... أنّا الشريفات أبناء الشريفات

وحملونا على الأقتاب عارية ... كأنّنا بينهم من غير قيمات

صعب عليك رسول الله ما صنعوا ... بأهل بيتك يا خير البريات

كفاكم برسول الله خصمكم ... وقد هداكم إلى سبل الهدايات

الهواتف بالشعر

ثم انهم باتوا تلك الليلة وأصبحوا فساروا وجدّوا في المسير إلى أن وصلوا ثاني منزلة يقال لها (جرايا) فنزلوا ووضعوا الرؤوس والسبايا بينهم ثم جلسوا يشربون الخمر فبينما هم كذلك إذ سمعوا هاتفاً يقول:

أيها القاطعون رأس حسين ... أبشروا بالعذاب والتنكيل

كل من في السماء يبكي عليه ... من نبيّ مقرّب ورسول

قد لعنتم على لسان محمد ... في الكتاب المجيد والإنجيل

ففزعوا من ذلك فزعاً عظيماً، وتركوا الخمر، وباتوا تلك الليلة، فلما أصبحوا حملوا وساروا فبينما هم سائرون إذ سمعوا هاتفاً يقول:

ألا أيها الغادرون إنّ أمامكم ... مقام سؤال والرسول سؤول

وفيه رسول الله فيكم مخاصم ... وفاطمة الزهراء وهي بتول

وإنّ علياً في الخصام مؤيد ... له الحق فيما يدّعي ويقول

فماذا تردّون الجواب عليهم ... وليس إلى ردّ الجواب سبيل

ولا يرتجي في ذلك اليوم شافع ... سوى خصمكم والشرح فيه يطول

ومن يكن المختار والله خصمه ... فإن له نار الجحيم تؤول

فإنهم سفن النجاة لمغرق ... ونجح وهذا بالنجاح كفيل

مناقبهم بين الورى مستنيرة لها غرر محجولة وحجول
مناقب وحي الله أثبتها لهم بما قام منهم شاهد ودليل

فلما سمعوا ذلك فزعوا فزعاً عظيماً، ثم أقبلوا على تكريت فكتبوا لحاكمها كتاباً أن اخرج تلقانا فإنّ معنا رأس خارجي وأهله سبايا فلما وصله الكتاب وقرأه. أمر بنشر الأعلام فنشرت وخرج هو وعسكره لملاقاتهم فقالت النصارى: ما هذا الرأس؟ قالوا: رأس الحسين. فلما سمعوا ذلك ضربوا النواقيس تعظيماً للّه. وقالوا: اللَّهُم العن أمة قتلت ابن بنت نبيهم، ثم دخلوا وباتوا فلما أصبح الله بالصباح، ساروا إلى أن وصلوا وادياً فنزلوا فيه فسمعوا الجنّ وهم يبكون ويلطمون على الحسين وهم يقولون:

نساء الجن ساعدن النساء الهاشميات بنات المصطفى تبكي شجيات
بولولة ويندبن البدور الفاطميات ويلبسن الثياب المقطعات
ويلطمن الوجوه على عظيمات البليات ويندبن الحسين على رزيات

ثم سمعوا هاتفاً غيرهم يقول:

ذا حسين قتلوه ويلهم سوف يصلون به نار الخلود
فأبوه ذا عليّ فاضل وله جدّهم خير الجدود

ثم باتوا وهم فزعون، فلما أصبحوا حملوا وساروا إلى أن أقبلوا على الموصل، فكتبوا لحاكمه تلقانا فإن معنا رأس خارجي، فلما وصله الكتاب أمر بنشر الأعلام وضرب الطبول، فعند ذلك قال لهم رجل منهم: يا قوم، والله ليس بخارجي وإنما هو رأس الحسين. فلما سمعوا ذلك غضبوا غضباً شديداً وتحالفوا أنهم يقتلونهم ويخلصون الرأس منهم فبلغهم ذلك فارتحلوا من طريق آخر ولم يزالوا سائرين حتى أقبلوا على كفرنوبة،

وكتبوا إلى صاحب حلب تلقانا فإن معنا رأس خارجي فلما وصله الكتاب فرح فرحاً شديداً وأمر بنشر الأعلام وأخذ قومه وخرجوا لمقابلتهم من نحو ثلاثة أميال وأنزلهم عنده وأقاموا ثلاثة أيام، وأكرمهم غاية الإكرام، ثم ارتحلوا على قنسرين، فلما وصلوها وبلغ أهلها خبرهم أغلقوا الأبواب في وجوههم وقالوا: لا يمرون في بلدنا فارتحلوا إلى مدينة النعمان فاستقبلوهم وذبحوا لهم الذبائح ثم ارتحلوا إلى كفرطاب فغلقوا في وجوههم الأبواب فارتحلوا إلى شيراز فتقلد أهلها بالسيوف، وركبوا القنطرة فلما وصلوا إليهم قال لهم خولى: لا تفعلوا ذلك يا أهل شيراز فلم يلتفتوا إليه بل حملوا عليهم وقاتلوهم حتى قتلوا منهم ستة وثمانين فارساً وقتل منهم خمسة رجال فعند ذلك قالت أم كلثوم: ما يقال لهذه المدينة؟ فقالوا: شيراز فقالت: أعذب الله ماءها وأرخص أسعارها ورفع أيدي الظالمين عنها.

(قال الراوي): فلما رأى خولى من أهل شيراز هذه الفعال أمر قومه بالرحيل إلى طريق آخر فارتحلوا إلى حماه فغلق أهلها الأبواب في وجوههم فقالت أم كلثوم: ما يقال لهذه المدينة؟ فقالوا: حماه فقالت: حماها الله من كل ظالم ثم ساروا إلى أن أقبلوا على حمص فكتبوا لحاكمها تلقانا فإنّ معنا رأس خارجي فلما وصله الكتاب أمر بنصب الأعلام وخرج ولاقاهم وأكرمهم غاية الإكرام ثم ارتحلوا إلى خندق الطعام فغلق أهلها الأبواب فارتحلوا إلى جوسية.

(قال الراوي): حدثني من حضر ذلك اليوم بجوسية أن حاكمها جرد أربعة آلاف فارساً وأمرهم أن يقاتلوهم ويأخذوا الرؤوس والأسارى منهم فأحسوا بذلك فارتحلوا إلى طريق آخر إلى أن وصلوا إلى بعلبك وكتبوا لحاكمها كتاباً تلقانا فلما وصله خرج بالطبول وقد نشر الأعلام ولاقاهم

فقالت أم كلثوم: ما يقال لهذه المدينة؟ فقالوا: بعلبك فقالت: لا أعذب الله ماءها، ولا أرخص أسعارها، ولا رفع أيدي الظالمين عنها. ثم ارتحلوا آخر النهار فأدركهم المساء عند صومعة راهب في الطريق فنزلوا عندها وأسندوا الرؤوس عليها. فلما جنّ الليل سمع الراهب دويّاً كدويّ النحل فعلم أنه تسبيح ملائكة. فأرخى رأسه من الصومعة فرأى قناديل مدلّات من السماء إلى الأرض وسمع زين العابدين يبكي ويقول:

هذا الزمان فما تفنى عجائبه ... عن الكرام ولا تهدأ مصائبه

فليت شعري إلى كم ذا يحاربنا ... بصرفه وإلى كم ذا نحاربه

يسري بنا فوق أعياس بلا وطأ ... وسائق العيس يحمي منه غاربه

كأننا من أسارى القوم بينهم ... كأن ما قاله المختار كاذبه

كفرتم برسول الله ويحكم ... يا أُمة السوء ما هذي مذاهبه

فلما سمع الراهب ذلك خرج من صومعته وأقبل على القوم وقال: مَنْ أميركم؟ فأشاروا إلى خولى فقال له: أنت الأمير؟ فقال: نعم فقال: هذا رأسُ مَنْ؟ فقال: رأس خارجي فقال: ما اسمه؟ قال: الحسين فقال: ومَنْ أُمُّهُ؟ فقال: فاطمة بنت محمد. لما سمع ذلك خَرّ مغشياً عليه. فلما أفاق قال: صدقَت الأخبار لأنهم قالوا في هذا الشهر يُقْتَل نبي أو وصيّ نبي ثم قال: يا أمير أعطني الرأسَ حتى أنظره وأَرُدّه لك فقال: إدفع الجائزة فقال: وما الجائزة؟ قال: عشرة آلاف درهم فدفعها له فأمر بإعطاء الرأس له فلما نظر إلى الرأس انكبّ على وجهه يقبّله ويقول: لعن الله قاتلك يعزّ عليّ أن لا أكون أوّل شهيد استشهد بين يديك ولكن إذا لقيتَ جدك فأقرته مني السلام وأخبره أني على قول أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. ثم ضمخه بالمسك والطيب، ورده لهم. ثم إن خولى أراد أن يعطي قومه مما أخذه من الراهب فوجدها حجارة مكتوباً عليها ﴿وَسَيَعْلَمُ

ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ فرماها وقال: يا قوم اكتموا هذا الأمر لأنه عارٌ علينا؛ ثم كتب إلى يزيد كتاباً يقول فيه نُهَنّىء أمير المؤمنين ونعلمه أن معنا رأس عدوّك الحسين وحريمه وأطفاله ونحن قريبون من دمشق فاخرج لنا وتلقانا ثم طوى الكتاب وأرسله مع رسول من عنده فلم يزل سائراً إلى أن دخل دمشق وسلم الكتاب ليزيد فقرأه وفهم معناه فأمر بتجهيز العساكر فجهزوا ثم أمرهم أن يخرجوا لملاقاتهم فخرجوا من باب جيرون وباب أومى وهم عشرون ألفاً ومعهم الرايات منشورة وألسنتهم بالتهليل والتكبير مشهورةٌ ولم يزالوا حتى لاقوا القوم وأتوا بهم إلى دمشق.

وصول آل رسول الله ﷺ إلى الشام

(قال الراوي): قال سهيل الشهروزي: كنت حاضراً دخولهم فنظرت إلى السبايا وإذا فيهم طفلة صغيرة على ناقة وهي تقول: واأبتاه! واحسيناه! واعطشاه! وهي كأنها القمر المنير فَنَظَرَتْ إليّ وقالت: يا هذا أما تستحي من الله وأنت تنظر إلى حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لها: والله ما نظرت لكم نظرة أَسْتَوْجِب بها هذا التوبيخ فقالت: من أنت؟ فقلت: أنا سهيل الشهروزي فقالت: وإلى أين تريد؟ فقلت: أريد الحج إلى بيت الله وزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقالت: إذا وَصَلْتَ إلى قبر جدنا فأقرئه منّا السلام وأخبره بخبرنا فقلت: حبّاً وكرامة وهل لك حاجة غير هذا؟ فقالت: إن كان معك شيء من الفضة فأعط منه حامل رأس أبي وأمره أن يتقدم بالرأس أمامنا حتى تشتغل الناسُ بالنظر إليه عنّ وكانت أم كلثوم قبل أن يدخلوا دمشق قالت للشمر: بالله عليك، إذا دخلتم بنا دمشق فادخلوا من مكان قليل النُظّار ففعل بضد سؤالها قال سهيل ثم نظرت إلى روشن عليه خمس نسوة وفيهم عجوز محدودبة الظهر فلما وصلت الرأسُ قبالها ضربتها بحجر فنظرتها أم كلثوم فقالت: اللّهمّ أهلكها ومن معها فما استتمّ دعاؤها حتى سقطَ الروشن بالجميع فهلكوا وهلك تحتها خلق كثير. فقالت زينب: الله أكبر مِنْ دعوةٍ ما أسرعَ إجابتْها ثم دخلوا بالرأس من باب جيرون وداروا بها إلى باب الفراديس فسقط

الرأس فتلقته قرن حائط فعمر هناك مسجداً إلى يومنا هذا ثم ازدَحَم الناس حتى خرجوا من باب الساعات والرؤوس على الرماح فقال أهل الشام: والله ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء ثم أتوا حتى وقفوا بهم على باب القصر وقد أحدقت النظّار إلى زين العابدين وهو موثق بالرباط.

(قال الراوي): ثم أن خولى بعد أن أوقفهم على الباب دخل على يزيد وقال: يا مولاي الرؤوس والسبايا واقفون على بابك فقال: أدخلهم لأنظر إليهم فعند ذلك عمد خولى إلى رأس الحسين وغسلها وطيبها ودخل بها عليه وهو يقول:

أنا صاحب الرمح الطويل الذي به	أصول على الأعداء في كل مشهد
طعنت به في آل بيت محمد	لِأَرْضِيَ مولانا يزيد المؤيّد

ثم وضع الرأس بين يديه وارتدّ فأخذ الرؤوس والسبايا وأوقفهم بين يديه وهم على تلك الحالة باكين فقال له زين العابدين: يا يزيد، لَوْ رآنا جدّنا في هذه الحالة وسألك فما تقول؟ فعند ذلك أمر بحلّ الوثاق عنه وبجلوس السبايا، ثم أمر بإحضار طشت من فضة فحضر فوضع فيه رأس الحسين ووضعه بين يديه فلما رأته زينب فعل ذلك بكت ونادت بصوت حزين: يا حسين، يا حبيب رسول الله، يعزّ علينا ذلك يا أبا عبد الله، ويعزّ عليك لو رأيتنا في هذه الحالة قال: فأبكت كل من كان في المجلس ويزيد ساكت ثم أنه مدّ يده وأخذ منديلا كان وضعه على الرأس فلما رفعه صعد منه نور إلى عنان السماء فدهش الحاضرون ثم دعا بقضيبِ خيزران وجعل ينكث به ثنايا الحسين وهو يقول:

يا حسنه يلمع في اليدين	يلمع من طشت من اللجين
كأنه حق بعروتين	كيف رأيت الطَّعْنَ يا حسين
قد كنت زينا والآن صرت شيناً	وقد قضيتُ منك كل دَيْن

الصحابي أبو برزة الاسلمي
يؤنب يزيد بن معاوية

(قال الراوي): فعند ذلك قام إليه أبو برزة الأسلمي وقال: ويحك يا يزيد! تنكث بقضيبك ثنايا الحسين وقد كان جده يرشف ثناياه وثنايا أخيه ويقول: أنتما سيّدَا شباب أهل الجنة قاتل الله قاتلكما! فغضب يزيد غضباً شديداً وأمر بإخراجه سحباً، وزاد في تنكيث ثنايا الحسين وإذا بغراب على شرائف القصر ينعق، فلما سمعه يزيد ارتعدت فرائصه، وتغيرت أحواله.

جالوت اليهودي
ينكر على يزيد فعله ويعلن إسلامه

فبينما هو كذلك إذ دخل عليه جالوت اليهودي وقد كان حكيمه فقال له: ما هذا الرأس؟ فقال: رأس خارجي فقال: وما اسمه؟ قال: الحسين فقال: لِمَ قتلته؟ قال: أراد أن يأخذ الخلافة فقال له: ويلك يا يزيد! إنما هو أحق بالخلافة أما تعلم أنّ بيني وبين النبي داود أربعين جدّاً واليهود يعظموني ويتبركون بي وأنتم بالأمس كان محمد فيكم نبياً كريماً، واليوم قتلتم أولاده وسبيتم حريمه! ثم سحب سيفه وحمل على يزيد ليقتله فحال بينهما الحاضرون، فدنا اليهودي من الرأس وقبّله وقال: لعن الله قاتلك وخصمه جدك يعزّ عليّ أن لا أكون أول شهيد استشهد بين يديك ولكن إذا لقيت جدك فأقْرئه مني السلام وأخبره أني على قول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. فقال له يزيد: والله لولا أني محتاج إليك لأجل أمراضي لقتلتك شرّ قتلة. فقال: والله لا أداويك إلّا بما يزيد أمراضك فأمر بضرب عنقه فضربت عنقه رحمه الله.

امرأة تنكر على يزيد فعله

قال الشهروزي: فبينما نحن واقفون عند يزيد وإذا بامرأة لم أر أحسن منها وهي ترفل في أذيالها ولم تزلْ مُقْبِلة حتى دخلت على يزيد وقالت له: ما هذا الرأس؟ قال: رأس الحسين فقالت له: والله يعزّ على جده وأبيه وأمه وأهله والله لقد رأيت الساعة وأنا نائمة كأن أبواب السماء قد فتحت وهبطت منها خمسة ملوك بأيديهم كلاليب من نار وهم يقولون: قد أمرنا الله الجبّار بحرق هذه الدار، فالتفت يزيد إليها وقال: ويلك أنت في ملكي ونعمتي وتقولين هذا الكلام! والله لأقتلنّك شرّ قتلة فقالت: وما الذي ينجيني من ذلك؟ قال: ترقين المنبر وتسبين علياً وأولاده فقالت: أفعل ذلك فأمر بجمع الناس فجمعت وقال لها: قومي وارقي المنبر، وافعلي ما أمرتك به. فقامت على قدميها ورقت المنبر وقالت: يا معشر الناس، إعلموا أن يزيد يأمرني أن أسبّ علياً وأولاده، وهو الساقي على الحوض، ولوَاءُ الحمد بيده، وولداه سيدا شباب أهل الجنة، فاسمعوا ما أقول لكم ألا لعنة الله ولعنة اللاعنين على يزيد وعلى كل ساع في قتل الحسين وصلوات الله على عليّ وأولاده وشيعتهم منذ خلق الله الدنيا الى يوم القيامة، عليها أحيى وعليها أموت وعليها أبعث إن شاء الله. فغضب يزيد من كلامها وقال: من يكفيني شرّها فقال رجل من النصارى: أنا أكفيك شرّها فقام وضربها بسيفه فماتت رحمها الله ثم التفت يزيد إلى زين العابدين

وقال له: يا علي الحمد لله الذي قتل أباك وأخاك فقال: إنما قتلتَ أبي أنت والناس فقال: الحمد لله قد قتلته وكُفيتُهُ فقال عَليٌّ: مَنْ قتل أبي لعنه الله. فأمر بقتله فقال: لا أخاف من القتل بل لي أسوة بمن قُتِلَ قبلي فعند ذلك تصايحت النساء بالبكاء والنحيب وتقدمت أم كلثوم وقالت: يا ويلك يا يزيد إلى متى تقتل في أهل البيت أتريد أن تخلي الدنيا من نسل محمد رسول الله! فضجّت الناس بالبكاء والنحيب فأمر بتركه ثم التفت إلى زينب وقال لها: يا قرّة عين عليّ وفاطمة الزهراء جئتم لتأخذوا الخلافة مني يا زينب قد أمكنني الله منكم فقالت: يا يزيد أتأخذنا بقتلاكم يوم بدر وحنين يا ويلك تهتكنا وتحجب نساءك في القصور وأولاد رسول الله مأسورون، أمَا كفاك قتل الحسين! أظننت أن ذلك على الله هَيّنٌ! اللّهم خذ بحقنا وَانْتقمْ ممّن ظلمنا وأحْلِلْ غضبك على مَنْ سفك دماءنا، فَحَسْبُك يا يزيد بالله حاكماً، وبمحمد خصْماً، وبجبرائيل ظَهِيراً، وسيعلم من سوّل لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً! وإلى الله المشتكى. فلم يتكلم بل قال: يا زينب، أخوك قد جحَدَ حقي، ونازعني في ملكي فقالت: لا تفرح بقتل أخي لأنه صفيّ منْ أصفياء اللهِ، دعاه فأجابه فَسَعِد وأما أنت يا عدوّ الله فغداً تُسأل بين يدي الله فلم تجد جواباً.

(قال الراوي): ثم ارتدّوا إلى القصر وجلسوا فيه وإذا برجل وثب إلى يزيد وقال: أريد من غنيمتك هذه الجارية وأَوْمَأ إلى سكينة فالتفتت إلى عمتها وقالت: يا عمتي يصير من أولاد الأنبياء جوار وعبيد وإذا بأم كلثوم قالت للرجل: اقصر من هذا الكلام قطع الله يديك ورجليك فما استتمّت كلامها حتى زعق الرجل زعقة عظيمة وعض على لسانه وفُقئت عيناه وغُلّتْ يداه إلى عنقِهِ فقالت: الحمد لله الذي استجاب دعوتي وأزال غصّتي وأراك حسرة في نفسك فهذا جزاء مَن تعرض لأولاد الأنبياء.

رؤيا سكينة عليها السلام

ثم أن سكينة تقدمت إلى يزيد وقالت: إعلم أني رأيت البارحة في نومي قصراً من لؤلؤة بيضاء وله أربعة أبواب وعلى كل باب خدم لا يحصون فبينما أنا أنظر إليه وإذا قد فتح باب منه وخرج منه خمس رجال وخمس نسوة يتقدمهم غلام لهم فتقدمت للغلام وقلت: لمن هذا القصر؟ فقال للحسين فقلت: ومَنْ هؤلاء الذين معك؟ فقال: ومن أنت؟ فقلت: أنا سكينة فقال: يا سكينة هذا آدم وهذا نوح وهذا إبراهيم وهذا موسى وعيسى فبينما أنا أنظر إليهم وإذا برجل قد أقبل وهو متغير اللون وله نور ساطِع وهو مغتم قابض على لحيته باكياً حزيناً فقلت للغلام: من هذا الرجل الذي هو متلبّس بالأحزان؟ فقال: ألا تعرفيه؟ فقلت: لا فقال: هذا جدّكِ فقلت: والله لَأَشْكُوَنّ له ما حلّ بنا ثم دنوت منه ولزمت صدره وأنا شاهِقة بالبكاء فضمني إلى صدرهِ وبكى حتى أُغْمِيَ عليه ثم قال لي: لا تخافي يا بنتي فقلت: يا جدي قتلوا الحسين واخوتي وأعمامي وأولاد اخوتي وبني عمي ورجالنا وسُبِينا وحُمِلنا إلى يزيد لعنه الله مهتكات ينظر إلينا البار والفاجر ثم بكيت بكاءً عظيماً فقال: اسكتي يا سكينة فقد أبكيْتِ الملائكة ثم أخذ بيدي وأدخلني القصر مع الخمس نسوة اللواتي رأيتهنّ وبينهن امرأة عظيمة الخلقة ناشرة شعرها وعليها ثياب سود ومعها قميص

متلطخ بدم وهي تقوم ساعة وتقعد أخرى فقلت للغلام: من هؤلاء النسوة؟ فقال: هذه حواء، وهذه مريم، وهذه آسية، وهذه جدتك خديجة. فقلت: والتي معها القميص؟ فقال: هذه فاطمة فدنوت منها وقلت لها: قد قُتل الحسين واخوتي وأعمامي وجميع عشيرتنا وحُمِلنا أُسارى إلى يزيد، فعند ذلك ضمتني إلى صدرها وبكت وبكت النسوة ثم قالت: يا أمي حواء ويا أمي خديجة ويا اخوتي انظروا إلى هؤلاء القوم وفِعْلِهم بأولادي بعدي وصرخت صرخة عظيمة حتى ظننت أن القصر قد انطبق ثم نادت: واولداه واثمرة فؤاداه! ثم قالت لي: يا سكينة صبراً جميلاً يا ابنتي لو رأيتِ ما صار إلى الحسين من النعيم والكرامات لاشْتَاقَتْ عيناك إليه ولو رأى يزيد ما أعدّ الله له من العذاب الأليم والنار الحامية والسعير لَذابَتْ نفسه ونسي يومه إذا وُضع في طباقها نَهَشَتْه حياتها وهذا قميص الحسين معي لا يفارقني حتى آتي به إليه ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ وعند تمام الآية انتبهتُ فحار يزيد من كلامها وقال: أنتم أهل البيت قد خُصّصتم بالحكمة كبيركم وصغيركم وذكركم وأنثاكم ودعا بخطيبه وكان فصيح اللسان قليل المعرفة بربه وقال له: إجمع الناس بالجامع واصعد المنبر وسبّ عليّاً وأولاده. ففعل ما أمره به وازداد في سبّ عليّ وأولاده وأكثر في مدح يزيد فلما سمعه عليّ واخوته صاح به وقال: يا ويلك مِنْ خطيب لقد أسخطت الرب، وأرضيت العبد، فعليك لعنة الله.

خطب الإمام زين العابدين عليه السلام
في مجلس يزيد

ثم تقدم إلى يزيد وقال له: إئذن لي أن أرقى المنبر وأتكلم بما يُرْضي الله وينفع الناس فأبى فقال له الحاضرون: لم لا تأذن له فقال: يا قوم إني عارف بهذا الغلام واخوته يا قوم هؤلاء أهل البيت اختصّوا بالحكمة كبيرهم وصغيرهم وهم نَسْل أبي تراب والحية لا تلد إلَّا حيّة فقالوا: بالله عليك أن تأذن له فقال: يا علي، إرق وتكلم بما شئت فصعد ثم حمد الله وأثنى على رسول الله وقال: أيها الناس، أُحَذركم الدنيا وما فيها فإنّها دارُ زوَالٍ وهي قد أفنت القرون الماضية، وهم كانوا أكثر منكم مالاً وأطولُ أعماراً، وقد أكَلَ الترابُ لُحُومَهم، وتغيرت أحوالهم، أفتطمعون بعدهم بالبقاء هيهات هيهات! لا بد مِنْ اللحوق والملتقى فَتَداركُوا ما مضى من عمركم بما بقي وافعلوا فيه ما سوف يُعدّ لَكُم من الأعمال الصالحة قبل انقضاء الأجل، وفروغ الأمل، فعَنْ قريب تُؤخذون من القصور إلى القبور، وبأفعالكم تحاسبون، فكَمْ واللهِ من فاجرٍ قد استكملت عليه الحسرات، وكم من عزيز قد وقع في مسالك المحلكات حيث لا ينفع الندم ولا يُغاث مَنْ ظَلَمَ ووجدوا ما عَملوا حاضراً ولا يظلم ربُّك أحداً

أيها الناس. منْ عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا عليُّ بن الحسين بن عليٍ، أنا ابن فاطمة الزهْراء، أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن مروة والصفا، أنا ابن منْ صَلّى بملائكة السما، أنا ابن منْ دنا فتدلّى، فكان قابَ قوسين أو أدنى، أنا ابن صاحب الشفاعة الكبرى، أنا ابن صاحب الحوض واللّواء، أنا ابن صاحب الدلائل والمعجزات، أنا ابن صاحب القرآن والكرامات، أنا ابن السيد المحمود، أنا ابنُ مَنْ له الكرم والجود، أنا ابن المتوّج بالاشراق، أنا ابن من ركب البراق، أنا ابن صفوة اسماعيل، أنا ابن صاحب التأويل، أنا ابن الصادر والوارِد، أنا ابن الزاهد العابد، أنا ابن الوفيّ بالعهود، أنا ابن رسول الملك المعبود، أنا ابن سيد البررة، أنا ابن المنزّل عليه سورة البقرة، أنا ابن مَنْ تُفَتّحُ له أبواب الجنان، أنا ابن المخصوص بالرضوان، أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن محزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضِيَ، أنا ابن طريح كربلا، أنا ابن مسلوب العمامة والرِّدا، أنا ابن مَنْ بَكَتْ عليه ملائكة السّما، أيها الناس، إنّ الله ابْتلانا ببلاء حسن حيث جعل فينا راية الهُدى، وجعل في غيرنا راية الرّدى، وفَضّلَنا على جميع العالَمِين، وآتانا ما لم يؤت أحداً من العالمين، وخَصّنا بخمسةِ أشياءَ لم يوجَدُ في الخَلْق أجمعين: العلم والشجاعةَ والسخاء وحبّ الله ورسوله وأعطانا مَا لَمْ يُعْطِ أحداً من العالمين.

(قال الراوي): روي عن جعفر الصادق أنَّ عند ذلك ضجّت الناس بالبكاء والنحيب، فقصد يزيد أن يقطع كلامه بالأذان وأشارَ لمؤذنه ليؤذن فقال: الله أكبر فقال علي: الله أكبر فوق كل كبير فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله فقال عليّ: أشهد أن لا إلٰه إلّا الله فقال: أشهد أن محمداً رسول الله فقال عليّ: بالله عليك أسكت فسكت ثم قال: يا يزيد، أكان محمد

جدّي أم جدك؟ فإن قلتَ جدي فأنت صادق وإن قلت جدك فأنت كاذب فقال: بل جدّك فقال: لِمَ قتلت ذريته وسبيت حَريمهُ؟ فسكت. ثم ضجّت الناس بالبكاء والنحيب. وقالوا: هذه مُصِيبة في الاسلام، فعند ذلك خشيَ يزيد على نفسه القَتْلَ وقال: أيها الناس، أتظنون أني قتلت الحسين؟ فلعنَ الله مَنْ قتله إنما قتله عبيد الله بن زياد عاملي بالبصرة، ثم أمر بإحضارِ مَنْ أتى برأس الحسين ومن معه ليسألهم كيف كان قتله؟ فحضروا بين يديه فقال لابن ربعي: ويلك! أنا أمرتك بقتل الحسين؟ فقال: لا، لعنَ الله قاتِلَهُ ولم يزالوا كذلك إلى أن وصل السؤال إلى الحصين بن نمير فقال مقالتهم ثم قال: أتريد أن أخبرك بمن قتله؟ فقال: نعم فقال: أعطني الأمان فقال: لك الأمان فقال: إعلم أيها الأمير أن الذي عقد الرايات ووضع الأموال وجَيَّش الجيوش وأرْسَل الكُتُبَ وأَوْعَدَدَ وَوَعَد هو الذي قتله فقال: من فعل ذلك؟ فقال: أنت، فغضب منه ودخل منزله ووضع الطشت الذي فيه رأس الحسين بين يديه، وقالت هند زوجة يزيد: لمَّ أخذتُ مضجعي تلك الليلة رأيت في منامي كأن أبواب السماء قد فتحت والملائكة بأجمعهم قد نزلوا وهم يدخلون إلى المحل الذي فيه رأس الحسين ويقولون: السلام عليك يا أبا عبد الله، فبينما أنا كذلك إذ نظرت إلى سحابة قد نزلتْ من السماء وفيها رجال كثيرة وبينهما رجل قمريّ اللون فأقبل حتى دنا من رأس الحسين وانكبّ عليه وهو يقول: السلام عليك يا ولدي قتلوك، ومن شرب الماء منعوك، أتراهم ما عرفوك!؟ أنا جدك المصطفى، وهذا أبوك عليّ المرتضَى، وهذا أخوك الحسن. وهذا عمك جعفر، وهكذا إلى آخِرِهِمْ فعند ذلك ٱرْتَعَبْتُ فانتبهتُ من نومي وطلبتُ زوجي فوجدته في مكان مُظْلِم فقلت له: أسكت حتى أخبرك بما رأيت فسكت، ثم قصصت عليه الرؤيا وهو منكسٌ رَأسَهُ فلما ٱسْتَتْمَمْتُ

خَرَج ودعا بعليٍّ واخوته وقال لهم: أيُّهُمَا أَحَبُّ إليكم المقام عندي ولكم الجائزة أم المسير إلى مكة والمدينة فقالوا: يا يزيد، نحن فارَقْنا الحسينَ وعُبيد الله بن زياد لم يُمَكِّنَّا مِنَ البكاء والنحيب. فأمر بإخلاء دارٍ لهم قعدوا فيها وعَدَّدُوا البكاء والنوح ليلاً ونهاراً ولم يبق في دمشق قرشيةٌ ولا هاشميةٌ إلّا وشدّت الأوسَاط وأقاموا على ذلك أسبوعاً، ثم دعاهم وعرض عليهم المسير فأجابوا لذلك.

رجوع آل الحسين عليهم السلام إلى المدينة

فعند ذلك قُدمَتْ لَهُم المحامل على الجمال، ثم أحْضَر لهم مالاً جزيلاً. وقال: يا زينب، خذي هذا المال عِوَضاً عن مُصِيبتكم. فقالت: يا ويلك! ما أقل حياءَك! وأَصْلب وجهك! تقتل أخي وتقول خذوا عِوَضه مالاً! فلما أبت دعا بقائدٍ مِنْ قوّاده وضَمّ إليه ألف فارس وأمره أن يسير بهم إلى المدينة أو أيّ مكان شاؤوا وأن يقضي لهم جميع ما يلزم ثم حشا الرأس بالمسك والكافور وسلّمه لهم. فأخذوها وساروا إلى كربلا ودفنوه مع الجسد الشريف.

وصولهم إلى كربلاء

(قال الراوي): هذا ما وَرَدَ في دفن الرأس. وأما عليّ واخوته فإنهم لما خرج بهم القائد من دمشق ووصلوا إلى بعض الطريق قالوا: بالله عليك يا دليلنا مُرّ بنا على طريق كربلا لكي نُجَدِّدَ عَهْداً بيننا فقال لهُم: سمعاً وطاعة وسار بِهم إلى أن دخلوا كربلا وكان ذلك اليوم في العشرين من شهر صفر فوافاهم جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من أهل المدينة وأقاموا البكاء والحزن حتى ضجّت الأرض، ثم سارُوا قاصِدينَ المدينة. فلما وصلوها بكت أم كلثوم وجعلت تقول:

الوصول إلى المدينة وشعر أم كلثوم عليها السلام

مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا
ألا فاخبر رسول اللّه عنّا بأنا قد فجعنا في أخينا
وإنّ رجالنا في الطف صرعىٰ بلا روس وقد ذبحوا البنينا
واخبر جدّنا إنا اسرنا وبعد الأسر يا جدّنا سبينا
ورهطك يا رسول اللّه أضحوا عرايا بالطفوف مسلبين
وقد ذبحوا الحسين ولم يراعوا جنابك يا رسول اللّه فينا
فلو نظرت عيونك للأسارى على قتب الجمال محمّلينا
رسول الله بعد الصون صارت عيون الناس ناظرة علينا
أفاطم لو نظرت إلى السبايا بناتك في البلاد مشتتينا
أفاطم لو نظرت إلى الحيارى ولو أبصرت زين العابدينا
أفاطم لو رأيتينا سهارىٰ ومن سهر الليالي قد عمينا
أفاطم ما لقيت من عداك ولا قيراط مما قد لقينا
فلو دامت حياتك لم تزالي إلى يوم القيامة تندبينا
وعرّج بالبقيع وقف وناد أأين حبيب ربّ العالمينا
وقل يا عم يا الحسن المزكّىٰ عيال أخيك أضحوا ضائعينا
أيا عماه إنّ أخاك أضحىٰ بعيداً عنك بالرمضا رهينا

ولو عاينت يا مولاي ساقوا حريماً لا يجدن لهم معينا
على متن النياق بلا وطاء وشاهدن العيال مكشّفينا
مدينة جدّنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين جمعاً رجعنا لا رجال ولا بنينا
وكنّا في الخروج بجمع شمل رجعنا حاسرين مسلبينا
ونحن في امان اللّه كنّا رجعنا بالقطيعة خائفينا
ومولاي الحسين لنا أنيس رجعنا والحسين به رزينا
فنحن الضائعات بلا كفيل ونحن النائحات على أخينا
ونحن السائرات على المطايا نشال على جمال المبغضينا
ونحن بنات ياسين وطه ونحن الباكيات على أبينا
ألا يا جدنا قتلوا حسيناً ولم يرعوا جناب اللّه فينا
ألا يا جد قد بلغت عدانا مناها واشتفى الأعداء فينا
لقد هتكوا النساء وحمّلوها على الأقتاب قهرا أجمعينا
وزينب أخرجوها من خباها وفاطم واله تبدي الانينا
سكينة تشتكي من حرّ وجد تنادي الغوث ربّ العالمينا
وزين العابدين بقيد ذلّ وراموا قتله أهل الخؤونا
فبعدهم على الدنيا تراب فكأس الموت فيها قد سقينا
وهذي قصتي مع شرح حالي ألا يا سامعون ابكوا علينا

(قال الراوي): فما استتمّ كلامها إلّا وأهل المدينة قد خرجوا صائحين رجالاً ونساء وهم يتصايحون ويبكون إلى أن قابلوهم وسلموا عليهم وهم على بكاء ونحيب؛ وقد كان محمد بن الحنفية مريضاً من يوم خروجهم وهو باكي العين، فلما سمع كثرة البكاء والنحيب سأل عن ذلك فأخبروه بقدوم أهله فلما سمع ذلك خرج هائماً يقوم تارةً ويقعد أخرى إلى

أن وصل إليهم وهو صارخ قائل: واأخاه! واحسيناه! فأقاموا في وجهه الصراخ والبكاء والنحيب فخرَّ مغشياً عليه فلما أفاق قام واحتضنَ ابنَ أخيه وقبّله بين عينيه وقال: يا أخي يعزّ عليّ قتلك وأنا لست معك وكنت أفديك بروحي، ثم انهم أتوا بأجمعهم إلى قبر جدّهم وجعلوا يترامون عليه وهم باكون وينادون يا جدّنا قتلوا حسيناً بأرض كربلا لو ترى عينُك ما حلّ بنا واستحلال دمنا وسبيَنا وتحميلنا إلى يزيد على الجمال بغير وطاء ولا غطاء ثم تقدم زين العابدين وبكى وجعل يقول:

إلى جدنا نشكو عداة تحكموا	ونالوا بنا والله كل مناء
ويا جدنا أردوا أبي متذللا	قتيلاً وفي الأحشاء حر ظماء
وقد رفعوا رأساً له فوق ذابل	كما البدر يبدو في علوّ سماء
وعادوا علينا ينهبون خيامنا	وليس لنا في ذاك من نصراء
وقد حملونا في ظهور جمالهم	بغير وطاء جدنا وغطاء
وطافوا بنا شرق البلاد وغربها	جميعهم يهجوننا بهجاء
وجاؤوا بنا ذلاً دمشق يزيدهم	وقد أوقفونا عنده بسواء
وقال لقد نلت المنى كل مقصد	بقتل أخيكم قد بلغت هنائي
وقد رام قتلي كي يقطع نسلنا	وذي عمتي صاحت بغير عزاء
وصاح به كل الحضور جميعهم	فقال دعوه ذا من الامناء
فخذ حقنا يا جدنا منه في غد	وفي يوم حشر يوم فصل قضاء
غداً يستحل الآن كل محرّم	يبيح بأهل البيت سفك دماء
إذا يستبيح الآن آل محمد	ويسقي لأهل البيت كل رداء
سيوفهم قد جردت في رقابنا	فيا ويلهم من حر نار لظاء
فقابلهم يا رب عدلاً بفعلهم	أيا من تعالى فوق كل سماء

ثم إنه لما فرغ من شعره خرجوا جميعاً ومضوا إلى منازلهم في حزن

وأما القائد فإنه ودّعهم هو ومن معه بعد أن أكرموه ودعوا له بخير، وقد بكى لبكائهم، وأما عليّ فإنه لما دخل هو وأهله إلى منازلهم سمع لسان حالها كأنها تقول:

مررت على أبيات آل محمد	فلم أرها إلّا خوالي مظلمه
فلا يبعد الله الديار وأهلها	وان أصبحت خلوا وكانت متممه
أرى قتل طفل من سلالة هاشم	تنوح له كل الورى نوح مأتمه
وكانوا غياثاً ثم بادوا جميعهم	وقد عظمت تلك الرزايا بفاطمه
ألم تر أن الشمس أضحت كسيفة	لقتل حسين فهي من ذاك معتمه

خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة المنورة

(قال الراوي): ثم أن علياً خرج ومعه خادم ومع الخادم كرسي له فوضعه على الباب ثم جلس عليه عليّ وهو يبكي ويمسح دموعه بمنديل ثم بعد قليل أتى عمه محمد بن الحنفية، وجلس بجانبه ثم أقبل أهل المدينة وتصايحوا بالبكاء والنحيب حتى ضجت الأرض فأومأ إليهم عليّ أن اسكتوا فسكتوا فقال: الحمد لله رب العالمين، بارىء الخلق أجمعين، الذي بَعُدَ فارتفع عن السماوات العلا، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الأمور، وفظائع الدهور أيها الناس، إن الله ابتلانا بمصائب جليلة، ومصيبة في الاسلام عظيمة، أيها الناس، قتل أبو عبد الله وسبيت نساؤه، فأيّ رجال يسرون بقتله أم أي عين تحبس دمعها فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان في البحار، والملائكة المقربون. والله لو أن النبي صلى الله عليه وسلم حثهم على قتلنا كما حثّهم بالوصية علينا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فعند الله محتسبي فيما أصابنا إنه عزيز ذو انتقام.

ويروى عنه أنه كان دائماً كثير البكاء لتلك البلوى، عظيم البثّ والشكوى.

بكاء الإمام زين العابدين عليه السلام على أبيه عليه السلام

ويروى عن الصادق أن زين العابدين رضي الله عنه بكى على أبيه وهو صائم نهاره قائم ليله فإذا جاء وقت الإفطار جيء له بطعام وشراب فيقول: قتل أبي جائعاً، قتل أبي عطشاناً، ولم يزل يردّد على ذلك على الطعام والشراب حتى يمزجهما بدمعه ثم يتعاطى منهما قليلاً ولم يزل كذلك حتى لقي الله. وروي عن مولى له أنه برز يوماً إلى الصحراء فتبعته فوجدته سجد على حجارة خشنة، فوقفت وراءه فسمعته يبكي وينوح وهو يقول: لا إلٰه إلا الله حقاً، لا إلٰه إلّا الله إيماناً وصدقاً فحصين ما قاله فبلغ ألفاً، ثم رفع رأسه فرأيت وجهه ولحيته قد بلّت بالدموع فقلت: يا سيدي، أما آن لحزنك أن ينقضي، ولبكائك أن يقل!؟

فقال: ويلك! إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبياً ابن نبّي وله إثنا عشر ابناً، فغيّب الله واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن، وتحدّب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء، وابنه في دار الدنيا. وأنا رأيت أبي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين! فكيف ينقضي حزني ثم بكى بكاء شديدا وجعل يقول:

إنّ الزمان الذي قد كان يضحكنا بقربهم صار بالتفريق يبكينا
خلت لفقدهم أيامنا فغدت سوداً وكانت بهم بيضاً ليالينا
فهل ترى الدار بعد البعد آنسة أم هل يعود كما قد كان نادينا
يا ظاعنين بقلبي أينما ظعنوا وبالفؤاد مع الأحشاء داعينا
ترفقوا بفؤادي في هوادجكم فقدته يوم راحت من أراضينا
فوالذي حجت الركبان كعبته ومن إليه المطايا الكل ساعينا
لقد جرى حبكم مجرى دمي فدمي من الفراق جرى سؤلا لبارينا

بكاء السماء على يحيى والحسين عليه السلام

(قال الراوي): عن الصادق أن الشمس بكت على يحيى وعلى الحسين أربعين صباحاً. قيل له ما بكاؤها؟ قال: كانت تطلع حمراء ولم تزل حمراء إلى أن تغيب.

قال الفاسي رضي الله عنه عن أبيه أنه قال: أرسل عبد الملك بن مروان إلى رأس الجالوت وقال له: هل كان في قتل الحسين علامة، قال: نعم ما كشف يومئذ حجر إلّا وجد تحته دم عبيط.

وعن الأسعد بن قيس قال: لما قتل الحسين ارتفعت حمرة من المشرق وحمرة من المغرب فكانتا تلتقيان في كبد السماء.

وعن أنس أنه قال: لما قتل الحسين كسفت الشمس بين الكواكب نصف النهار.

بكاء أم سلمة على الحسين

وعن عبد الله بن العباس قال: بينما أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عالياً من بيت أم سلمة، فخرجت أتوجه بقائدي إلى منزلها وقد أقبل أهل المدينة إليها رجالاً ونساء فقالت: يا بنات عبد المطلب عدّدن وابكين معي فقد قتل والله سيدكنّ وسيد شباب أهل الجنة.

فقلت لها: يا أم سلمة من هو؟ فقالت: الحسين فقلت: ومن أين علمت؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام مذعوراً فسألته عن ذلك؟ فقال: قتل الحسين وأهل بيته، والساعة فرغت من دفنهم. قالت أم سلمة: فدخلت البيت وأنا لا أكاد أغفل ونظرت فإذا تربة الحسين التي أتى بها جبرائيل من كربلا إلى النبي وقال له: إذا صارت مثل الدم فاعلم أنه إشارة على قتل الحسين وقد نظرت إليها فوجدتها دماً عبيطاً.

(قال الراوي): ثم أن أُم سلمة أخذت ذلك الدم ولطّخت به وجهها وصارت تبكي وتنوح.

قال الحافظ المنذري: حدّثني شيخ من بني تميم كان يسكن الرابية قال: سمعت أبي يقول: والله ما شعرنا بقتل الحسين حتى كان سابع يوم

عاشوراء فبينما أنا جالس في الرابية فسمعت صوت متكلم فقلت له: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا وأبي نفران من جن نصيبين أردنا مواساة الحسين بأنفسنا فسبقنا المقدور فوجدناه قتيلاً.

نزول الأنبياء عليهم السلام
في المكان الذي فيه رأس الحسين عليه السلام

ويروى عن أحمد البابي عن الأعمش قال: إلتجأت إلى البيت الحرام فينما أنا أطوف وإذا برجل في الطواف يقول: اللّهم اغفر لي ولا تؤاخذني بفعلي لأني مقهور من يزيد فقلت له: يا عبد الله، ما لي أراك في مثل هذا المكان تقول هذا الكلام وأنت في محل يغفر الله لمن دخله ومن دخله كان آمناً قال: قصتي عجيبة فقلت: اخبرني بها فقال: دعني فقلت: أقسمت عليك بالله العظيم أن تخبرني فقال: أقسمت عليّ بقسم عظيم فخذ بيدي فأخذت بيده فإذا هو أعمى ثم خرجنا إلى شعب من شعاب مكة وجلسنا فيه فقال لي: أيّ شعب هذا؟ فقلت: هذا شعب عليّ المرتضى فقال: والله ما أجلس في شعب والد رجل كنت في قتل ولده، فنهضت وأخذت بيده وخرجنا إلى الأبطح وجلسنا هناك فقال لي: من أنت؟ فقلت: أنا سليمان بن مهران الأعمش فقال لي: إعلم أني كنت من أصحاب يزيد وكنت من جلسائه فلما أُتي برأس الحسين أمر بوضعها في طشت من اللجين ثم وضع الطشت بما فيه بين يديه فجعل ينكث ثناياه بقضيب كان بيده ويقول: اشتفيت فيك وفي أبيك غير أن أباك خرج على أبي بأهل العراق فظفر به،

ثم أن أهل العراق خدعوك وأخرجوك فظفرت بك، فالحمد لله الذي مكنني منك، ولم يزل على هذا الحال مدّة من الأيام، فلما عظم ذلك على الناس خشي على نفسه فجمعهم وقال: يا قوم أتظنون أني قتلت لحسين فوالله ما قتله إلّا عاملي ابن زياد ثم دعا برأس الحسين فغسله وطيبه وكفنه وجعله في صندوق وغلق عليه وقال: دعوه في قصري، واجعلوا حوله السرادق وقصد بذلك كفّ ألسنة الناس عنه، ثم جعل خارج السرادق خمسين رجلاً. ووكلني بهم وكان إذا أتى الليل يرسل لهم طعاماً وخمراً فيأكل أصحابي ويشربون وأنا لم آكل ولم أشرب ثم ينامون ولم أنم حزناً على الحسين، فبينا أنا ذات ليلة قد استلقيت على ظهري وأنا منفكر في ذلك وإذا بسحابة عظيمة سمعت فيها دوياً كدويّ النحل، وإذا بخفقان أجنحة الملائكة حتى نزلوا إلى الأرض، ورأيت ملكاً عظيماً قد نزل وبيده بسط مكللة بالدرّ والياقوت ففرشها، ثم نزل خمسة ملائكة وبأيديهم كراسي من النور فوضعوها على البسط ثم نادى مناد: أنزل يا آدم يا أبا البشر فإذا برجل أبهج الرجال وجهاً وأكثرهم هيبة وعليه حلة من حلل الجنة وقد نزل من الهواء وأقبل على الرأس وسلم عليه وقال: عشت سعيداً وقتلت طريداً عطشاناً حتى ألحقك الله بنا، غفر الله لك يا بني ولا غفر لقاتلك، والويل له غداً من النار، ثم جلس على كرسي من تلك الكراسي، ثم جاءت سحابة أخرى أعظم من الأولى، فسمعت فيها خفقان أجنحة الملائكة حتى نزلت إلى الأرض، ثم نادى مناد: إنزل يا نوح يا نبي الله، فنزل. وإذا هو رجل تعلوه سمرة وهو أحسن الناس هيبة وعليه حلة من حلل الجنة، فأقبل حتى وقف على الرأس وقال مقالة آدم، وجلس على كرسي من تلك الكراسي ثم جاءت سحابة عظيمة؛ فسمعت فيها خفقان أجنحة الملائكة حتى نزلوا إلى الأرض ثم نادى مناد: إنزل يا

موسى، يا كليم الله، فنزل وأقبل على الرأس وقال: مقالة نوح، وجلس على كرسي من تلك الكراسي ثم جاءت سحابة عظيمة فسمعت فيها خفقان أجنحة الملائكة حتى نزلوا إلى الأرض ثم نادى مناد: إنزل يا عيسى، فنزل وإذا هو رجل حسن الوجه تعلوه شقرة وعليه حلة من حلل الجنة، فأقبل على الرأس وقال مقالة موسى ثم جلس على كرسي من تلك الكراسي ثم جاءت سحابة أعظم من تلك السحائب ولها دويّ كدويّ الرعد القاصف، وسمعت فيها خفقان أجنحة الملائكة حتى نزلت إلى الأرض ثم نادى مناد: إنزل يا أبا القاسم، يا أوّل يا آخر يا ماحي يا عاقب يا حاشر يا طاهر يا مزمل يا مدثر يا طه يا أحمد، إنزل يا محمد فنزل المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وعليه حلل من حلل الجنة وعن يمينه صف من الملائكة لا يحصيهم إلّا الله، وعن يساره عليّ المرتضى وولده الحسن وفاطمة الزهراء، فأقبل النبيّ على الرأس الشريف وأخذه وضمّه إلى صدره وبكى بكاء شديداً وقال: يا حبيبي يا حسين عشت سعيداً وقتلت طريداً عطشاناً حتى ألحقك الله بنا غفر، الله لك يا بني ولا غفر لقاتلك والويل له غداً من النار، ثم دفعه إلى عليّ المرتضى فأخذه وضمّه إلى صدره وبكى بكاء شديداً. وقال مقالة النبي ثم دفعه إلى فاطمة الزهراء فأخذته وضمته إلى صدرها وبكت بكاء شديداً. وقالت مقالة عليّ ثم دفعته إلى الحسن، فأخذه وضمه إلى صدره وبكى بكاء شديداً. وقال مقالة فاطمة رضي الله عنها. ثم أن آدم أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: السلام عليك أيها الولد الصالح عظم الله أجرك، وقوّى صبرك، وأحسن الله عزاءك، ثم أقبل نوح وقال مقالته، ثم أقبل موسى وقال مقالته، ثم أقبل عيسى وقال مقالته، ثم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: يا آدم ويا نوح ويا موسى ويا عيسى إشهدوا على ما ترون

من فعل هؤلاء القوم بأولادي ثم بكى فبينما هو كذلك إذ أقبل الملك الموكل بسماء الدنيا وقال: السلام عليك أيها النبي الكريم إعلم أن الله أمرني بالطاعة لك فإن أمرتني أن أهلك القوم جميعاً أطبقت عليهم السماوات حتى لا يبقى منهم أحد جزاء بما فعلوا فقال له النبي: مهلاً وإذا بملك ثان وبيده حربة عظيمة ولها شعبة بالمشرق وشعبة بالمغرب وقال: السلام عليك أيها النبي الكريم قد قطع قلبي بكاك. إعلم أني الملك الموكل بالبحار وأنّ الله أمرني بالطاعة لك قال: إن أمرتني أن أهلك هؤلاء القوم أطبقت عليهم البحار جزاء بما فعلوا فقال له: مهلاً وإذا بنور قد ملأ ما بين السماء والأرض وإذا بالملائكة قد أحاطت به وقالوا: يا محمد، العليّ الأعلى يقرئك السلام ويخصّك بالتحية والإكرام ويقول لك! اخفض صوتك فقد بكى لبكائك أهل السماوات وقد أرسلنا إليك الله نتمثل أمرك فقال: من الله بدء السلام، وإليه يعود السلام، فمن أنتم؟ فقال أحدهم: إني ملك الشمس إن أمرتني أن أحرقهم فعلت وقال الاخر: أنا ملك الجبال إن أمرتني أن أطبق عليهم الجبال فعلت. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: جزاكم الله تعالى خيراً دعوهم إن لهم موقفاً أكون أنا وإياهم فيه بين يديّ الله عز وجل، فيحكم بيننا بالحق وهو أحكم الحاكمين. فعند ذلك قال جميع من حضر من الأنبياء والملائكة: جزاك الله خيراً يا محمد عن أمتك ما أرحمك بهم وأرأفك عليهم. وهذا كله يا سليمان رأيته بعيني وسمعته بأذني وأنا يقظان بحالة الصحة الكاملة وما ذكرته لأحد غيرك بل أصبحت هارباً من الدنيا خائفاً وجلاً من الله عزّ وجلّ لصحبتي ليزيد وأنا على البكاء والنحيب حتى ذهبت عيناي وما أدري ما عاقبة أمري إن كان الله تعالى يمنّ عليّ من فضله ويغفر لي أم يؤاخذني؟ فعند ذلك بكى سليمان. وقال: لعل الله تعالى يمنّ عليك بفضله

ثم مشى معه إلى أن أتوا الطواف على حالتهم الأولى وصار الرجل يدعو بدعائه الأوّل. وروي عن زين العابدين أنه قال: لما أتى برأس أبي ليزيد كان يتخذ في مجلسه الخمر والرأس بين يديه في طشت من الذهب مغطى بمنديل حرير.

رسول ملك الروم
ينكر على يزيد فعله ويسأله

فبينما هو جالس ذات يوم وحوله أكابر دولته وهم يشربون الخمر والرأس بين أيديهم إذ دخل عليهم رسول ملك الروم وكان من أشرف الروم وأعظمها وكان يأتي يزيد بالكتب من عند ملكهم، فسلم على يزيد ومن حوله وأعطاه كتاباً كان معه ثم جلس وتحدّث معهم وهم على تلك الحالة ورأس الحسين بينهم في الطشت، فاستعظم ذلك فقال ليزيد: لم تشربون الخمر وهذا الرأس بينكم، فلمن هو!؟ فقال: لا تسل عما لا يعنيك فقال: أريد أن أخبر ملكنا بما أنتم عليه لأنه يسألني عن كل شيء رأيته فلهذا أريد أن تخبرني بقضية هذا الرأس حتى أشاركك في الفرح والسرور فقال يزيد: هذا رأس خارجي خرج على عاملي بالبصرة والعراق فقال له: ومن يكون هذا الخارجي؟ قال: الحسين بن علي فقال: أمه من؟ قال: فاطمة الزهراء بنت محمد فقال: أفّ لك ولدينك يا يزيد الآن ديني أحسن من دينك فقال: لماذا؟ قال: إن أبي كان حواريّ داود النبي وبيني وبينه أكثر من أربعين جداً فمن ذلك النصارى يعظمونني ويأخذون من تراب أقدامي تبركاً بي وأنتم تفعلون بابن بنت نبيكم هذه الفعال وما بينه

وبينه إلّا جد واحد! فأيّ دين دينكم!؟ ثم قال: يا يزيد، هل سمعت حديث كنيسة الحافر قال: لا. فقال: إعلم أن بين عمان والصين بحر مسيرة سنة ليس فيه عمران إلّا بلدة واحدة في وسط الماء ثمانين فرسخاً في ثمانين، ما على وجه الأرض أكبر منها ومنها يحمل الياقوت والكافور وأشجارها العود والعنبر وهي في أيدي النصارى. وفي تلك البلدة كنائس كثيرة، وأعظمها كنيسة الحافر، وفي محرابها حلقة ذهب معلقة، وفيها حافر مرصع بالدر والياقوت، ومن حوله الذهب والفضة وليس بائناً منه شيء من كثرة الذهب والفضة والحلي إلّا أسفله وتعظيم هذا الحافر يكون بسبب زعمهم أنه حافر حمار كان يركبه عيسى عليه السلام وكثير منهم يقصدون زيارته في كل عام ويطوفون حوله ويقبلونه ويرفعون حوائجهم إلى الله عنده. فهذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار يزعمون أن نبيهم كان يركبه. وهذا نبيكم حقاً لا شك فيه، وقد هداكم من الضلالة إلى الهدى، ومن ظلمة الكفر إلى نور الإسلام، وأبو المقتول هو الساقي على الحوض يوم القيامة! فلا بارك الله فيك ولا في دينك! فغضب يزيد غضباً شديداً وقال: أقتلوه لئلا يفضحنا فلما سمع ذلك قال: أتريد قتلي!؟ قال: نعم فقال: إعلم أني رأيت نبيكم في المنام وقد ضمن لي الجنة فتعجب يزيد من كلامه. ثم قال: تقتل ابن نبيكم وتزعم أنك على دين الإسلام!؟ فأنا أشهد أن لا إلٰه إلّا الله وأن محمداً رسول الله ثم تقدم إلى الرأس وضمّه وقبّله وبكى. ثم قتل رحمه الله وهو يقول: واخجلة الإسلام من أضداد ظفروا به، وقوم المسيح يعظمون حافر حماره!.

مواقف للزهراء عليها السلام في القيامة

وروي عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه قال: إذا كان يوم القيامة ينصب الله سرادقاً من نور بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلائق كلهم حاضرون ثم ينادي مناد: يا معشر الناس، غضّوا أبصاركم فإنّ فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى تريد أن تجوز السرادق فيغضّون أبصارهم، فإذا هي مقبلة فإذا وضعت رجلها في السرادق نوديت: يا فاطمة فتلتفت فترى ولدها الحسين واقفاً بجانبها من غير رأس فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرب ولا نبيّ مرسل إلا جثا على ركبتيه وخرّ مغشياً عليه، ثم أنها تفيق من غشيتها فتجد الحسين يمسح وجهه بيديه ورأسه قد عاد إليه فعند ذلك تدعو على قاتله ومن أعانه فيؤمر بهم إلى جهنم ولا شفيع لهم.

ويروى عن الصادق رضي الله عنه أنه قال: إذا كان يوم القيامة ينصب لفاطمة كرسي من نور فتجلس عليه، فبينما هي جالسة وإذا بالحسين مقبل عليها ورأسه بيده فإذا رأته صرخت صرخة عظيمة حتى لا يبقى في الجمع ملك مقرب ولا نبي مرسل إلّا بكى لبكائها فيمثله الله عزَّ وجلَّ في أحسن صورة ويجمع له من حضر في قتلته والمتجمهر عليه ومن أشار في قتله فيقتلهم الحسين عن آخرهم ثم ينشرون فيقتلهم الحسن وهكذا ينشرون

ويقتلون حتى لم يبق من ذريتنا أحد إلّا ويقتلهم فعند ذلك يكشف الهم ويزول الحزن.

ويروى عن الرسول صلّى اللّه عليه وسلم أنه قال: إذا كان يوم القيامة تقبل فاطمة على ناقة من نياق الجنة، وبيدها قميص الحسين ملطخ بدمه فتصرخ وتزجّ نفسها عن الناقة وتخرّ ساجدة لله عزَّ وجل وتقول: إلٰهي وسيدي ومولاي احكم بيني وبين من قتل ولدي الحسين. فيأتيها النداء من قبل الله عزِّ وجلَّ: يا حبيبتي وابنة حبيبي ارفعي رأسك فوعزّتي وجلالي لأنتقمنّ اليوم ممّن ظلمك وظلم ولدك، ثم يأمر بجميع من حضر قتل الحسين ومن شارك في قتله إلى النار.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا كان يوم القيامة جاءت فاطمة في جماعة من نسائها فيقال لها: أدخلي الجنة فتقول: لا أدخل حتى أعلم بما صنع بولدي الحسين فيقال لها: أنظري عن يمينك فتلتفت فإذا الحسين قائماً وليس عليه رأس، فتصرخ صرخة فتصرخ النساء لصراخها والملائكة أيضاً ثم تنادي واولداه واثمرة فؤاداه! فعند ذلك يغضب الله ويأمر ناراً قد أوقد عليها ألف عام حتى اسودت ولا تدخلها ريح ولا يخرج منها أبداً. فيقال لها: إلتقطي من حضر قتل الحسين. فتلتقطهم فإذا صاروا في جوفها صهلت بهم وصهلوا بها وشهقت بهم وشهقوا بها وزفرت بهم وزفروا بها ثم ينطقون بألسنة زلقة ناطقة: يا ربنا لم أوجبت لنا النار قبل عبدة الأوثان؟ فيأتيهم الجواب عن الله: إن من علم ليس كمن لا يعلم.

وروي عن آل البيت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا كان يوم القيامة تأتي فاطمة الزهراء على ناقة من نياق الجنة خطامها من لؤلؤ رطب قوائمها من زمرد أخضر ذنبها من مسك أذفر، عيناها من ياقوت

أحمر وعليها قبة من النور يرى باطنها من ظاهرها داخلها عفو الله وخارجها رحمة الله وعلى رأسها تاج من النور وله سبعون ركناً كل ركن مرصّع بالدر والياقوت يضيء كما يضيء الكوكب في أفق السماء وعن يمينها سبعون ألف ملك وعن يسارها مثلهم وجبرائيل آخذ بخطام الناقة وهو ينادي بأعلى صوته: غضّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة فيغضّون أبصارهم حتى تجاوز عرش ربها وتزجّ نفسها عن ناقتها وتقول: إلٰهي وسيدي ومولاي احكم بيني وبين من ظلمني وقتل ولدي فإذا النداء من قبل الله تعالى: يا حبيبتي وابنة حبيبي، سليني تعطي، واشفعي تشفعي فوعزّتي وجلالي لا يجاورني ظلم ظالم فتقول: إلٰهي وسيدي ومولاي ذريتي وشيعتي وشيعة ذريتي، فإذا النداء من قبل الله تعالى أين ذريّة فاطمة وشيعتها وشيعة ذريتها ومحبّوها ومحبّو ذريتها فيقولون وقد أحاطت بهم ملائكة الرحمٰن: ها نحن يا ربنا فتقودهم فاطمة حتى تدخلهم الجنة وهي اخذة بقميص الحسين وهو ملطخ بالدم وقد تعلقت بقوائم العرش وهي تقول: يا رب احكم بيني وبين قاتل ولدي الحسين فيؤخذ بها ويقال لها: ويل لمن شفعاؤه خصماؤه كما قال القائل هذه الأبيات:

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه	والصور في بعث الخلائق ينفخ
لا بد أن ترد القيامة فاطمٌ	وقميصها بدم الحسين ملطخ
فتقول ربي إنني لك أشتكي	قتل الحسين ابني وها أنا أصرخ
والله يأمر بالجميع لناره	ويل لمن قتلوا الحسين يؤرخ

(قال الراوي): روي عن عائشة رضي الله عنها أنّ فاطمة كانت إذا دخلت على ابنها قام لها وقبّل رأسها، وأجلسها مجلسه، وإذا جاء إليها لقيته وقبّل كل منهما صاحبه وجلسا معاً.

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن موسى بن عمران

قال: يا رب، أخي هارون مات فاغفر له فأوحى الله إليه: يا موسى، لو سألتني في الأوّلين والآخرين لأجبتك إلّا في قاتلي الحسين. ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال اللّه إلى محمد أني قتلت بيحيى سبعين ألفاً. ويروى عن الصادق أنه قال: قتل بالحسين مائة ألف ولم تقم بثاره وسيطلب بثاره.

قال الصادق: إن شهر المحرم كانت الجاهلية يحرمون فيه القتال، فاستحلت فيه دماؤنا، وانتهب فيه مالنا، وتهتكت فيه حريمنا، ولم يبق فيه حرمة لنا. إنّ يوم عاشوراء أحرق قلوبنا، وأرسل دموعنا، وأرض كربلا أورثتنا الكرب والبلا، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإن البكاء عليه يمحو الذنوب أيها المؤمنون.

وهذا آخر ما ورد في مصرع الحسين بن علي بن أبي طالب وما جرى له ولأهله من قتلهم، وسفك دمائهم، وسبي حريمهم، وذبح أطفالهم، فهم حجة الله وخيرته من خلقه، فلعن الله من تعدّى عليهم، وظلمهم، ومن أرضاه ذلك.

نسأل الله أن يثيبنا على ذلك الجنة، ويرزقنا أجر من استشهد بين يديه إنه صاحب المنّة. اللّهم اجعلنا من عتقائك من النار، وبحبهم اجعلنا من جلسائهم في دار القرار، بجودك وكرمك يا عزيز يا غفار والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأميّ وعلى آله وصحبه وسلم. آمين.

وقد تم كتاب نور العين في مشهد الحسين

ويليه كتاب قرة العين في أخذ ثار الحسين للإمام الهمام أبي عبد الله عبد الله بن محمد رضي الله عنه. آمين. وهو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

قرة العين في أخذ ثار الحسين عليه السلام

للشيخ الإمام العلامة عبد اللّه بن محمد

قال الشيخ الإمام العالم العلامة عبد الله بن محمد: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

(وبعد) فإني لما اطلعت على نور العين في مشهد الحسين، أعقبته بهذا الكتاب ووسمته إذ رسمته بـ (قرّة العين في أخذ ثار الحسين) فأقول: حدثني أبو مخنف قال: لما قتل سيدنا الحسين واحتوت بنو أمية على الخلافة، وفرقوا آل بيت رسول الله شرقاً وغرباً أمر ابن زياد بالنداء في العراق والكوفة أن من ذكر علي بن أبي طالب وأولاده وشيعته ضربت عنقه.

عميرة بن عامر في السجن

(قال الراوي): وكان بالكوفة رجل معلم من شيعة علي بن أبي طالب يقال له: عميرة بن عامر الهمداني، وكان ذا ورع وعقل وقد كتب الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن علي بن أبي طالب، فبينما هو في بعض الأيام جالس بالمكتب والصبيان بين يديه إذ مرّ به طالب ماء فاستدعاه وأسقاه شربة ماء، وكان الماء بارداً، فشرب وقال: لعن الله ظالمي الحسين ومانعيه شرب الماء. فسمعه ابن سنان سياف ابن زياد وهو الذي ساعد على قتل الحسين، فاغتاظ وقال: ألم يعلم هذا من أنا؟ ثم وثب إلى المعلم ووقف بين يديه وقال: أنظر إليّ وتأملني، فنظر إليه وقال له: ما شأنك؟ فقال: أتنكر ما تكلم به الشارب قال: وما قال؟ قال: لعن الله ظالمي الحسين ومانعيه شرب الماء. ألم يعلم أن الذي قتله الشمر بن ذي الجوشن وأبي شال رأسه على الرمح وذلك بأمر يزيد؟ أما سمعت النداء أن لا أحد يذكر الحسين إلّا قطعت رأسه؟ فقال له المعلم: لا تخبر عنه أباك ولا ابن زياد فقال: سمعاً وطاعة. وقد أضمر بضدّ ذلك وأسرّ أنه يخبر عن المعلم لا عن الشارب وسكت ساعة لما نسي المعلم ذلك ثم خرج من المكتب ودخل خربة وأخذ طرف عمامته ومزقهما ثم جعل

يضرب ظهره وسائر بدنه حتى خضبه بالدم وأقبل على أمه فلما رأته صرخت وقالت: من فعل بك هذا؟ فقال: معلمي دعا بشارب ماء وأسقاه فلما شرب قال المعلم: لعن الله ظالمي الحسين ومانعيه شرب الماء. فلما سمعته قلت: أما تعرفني؟ فسمعني وقال لي: أسكت لعنك الله، ولعن أباك، ولعن ابن زياد، يا ويلك! أليس أبوك شال الرأس على الرمح حين قتل؟ فقلت له: بل لعنك الله يا ويلك! أيما أحق بالخلافة الحسين أم يزيد؟ فلما سمع كلامي وثب إليّ وأخذني إلى داره وأوثقني وفعل بي كما ترين. ثم مضى فهربت منه وإلّا كنت هلكت. فلما سمعت كلامه خرجت وأخبرت أباه بذلك، فلما سمع منها ذلك فجر وكفر وسبّ الحسين وأخذ ولده إلى ابن زياد ونادى نصيحة يا أمير، فما كان أقل من لمحة حتى مثل بين يدي ابن زياد فلما نظر إلى الغلام وهو مخضب بالدماء قال: ما شأنه؟ قال: هو في مكتب عميرة، فلما كان هذا اليوم دعا بشارب ماء فسقاه ثم قال: لعن الله ظالمي الحسين ومانعيه شرب الماء. فقال له ولدي: بل لعنك الله، فغضب من كلامه وأخذه إلى داره وفعل به ما ترى. فلما سمع ابن زياد كلامه انقلبت عيناه في أم رأسه ثم دعا بحاجبه وقال له: إمض إلى عميرة وأحضره بين يديّ ومن سألك عن أمره فخذ رأسه فركب وأتى إليه وأخذه وأوقفه بين يديّ ابن زياد، فلما نظر إليه قال: يا ويلك! أتسبّ أمير المؤمنين يزيد بن معاوية! وتمدح ابن أبي تُراب وأولاده! ثم قال لغلمانه كبوه فكبّوه على وجهه وضربوه فقال له: إتق الله في أمري! فوالله ما فعلت شيئاً مما تحدّث به الصبي عني وإن شهد عليّ أحد من خلق الله فدمي للأمير حلال.

فقال: إنطلقوا به إلى حبس شيعة أبي تراب؛ فأتى الحجاب به إليه وفتحوا بابه وهو من حديد ثم قيدوه وأدخلوه فيه.

عميرة يلتقي بالمختار في سجن ابن زياد

قال عميرة: ثم قفلوا من ورائي فنزلت خمسين سلماً حتى وصلت إلى الأرض، وفي حال النزول لم أر للضوء أثراً ولما انتهيت إلى الأرض أضاء لي الموضع فرأيت قوماً يستغيثون فلا يغاثون وهم مقيدون، ثم سمعت في صدر الموضع أنيناً عالياً فقصدته فإذا هو رجل جالس وعليه قميص أسود وفي رجليه قيدان وفي عنقه طوق حديد ويداه مغلولتان وهو لا يقدر أن يتحوّل يميناً ولا شمالاً، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ورفع رأسه وإذا بشعر رأسه على عينيه فقلت: يا هذا ماذا جنيت حتى نزل بك هذا!؟ قال: محبة أهل البيت. فقلت: ومن تكون من شيعتهم أنت؟ فقال: أنا المختار بن ابي عبيدة الثقفي فانكببت على رأسه وقبلته فقال: من أنت يرحمك الله؟ فقلت: عميرة بن عامر الهمداني معلم صبيان الكوفة. فقال: يا أخي ما هذا موضع المعلمين بل هو موضع من أراد أن يغلب بني أمية ويأخذ بثار الحسين ولكن طب نفساً وقرّ عيناً فإنك عن قريب يفرج الله عنك.

قال عميرة ثم سألته عن سبب حبسه، وعن أولئك القوم فقال: أردت الأخذ بثار الحسين أنا وإياهم فأخذنا غدراً وحبسنا هنا وهذا كان قبل مجيء الحسين عليه السلام من المدينة ثم جلسا يتحدّثان أياماً قلائل.

(قال الراوي): وكان لعميرة ابنة أخ وكانت داية أولاد ابن زياد وقد أرضعت أولاده وذرية أولاده، فلما بلغها خبر عمها دخلت على حصينة زوجة ابن زياد ومزقت جيبها وجزت شعرها وهي تبكي فقالت لها: ما شأنك؟ وما نزل بك؟ فقالت: يا سيدتي عمي شيخ كبير، وقد علم أولادكم ووجب حقه عليكم، وقد تكلم عليه بعض الصبيان بكلام لم يقله، وهو الآن محبوس. فقالت: حباً وكرامة. ثم قامت ودخلت على ابن زياد وكانت أحظى نسائه وقالت له: الشيخ المحبوس أنا أعلم أنه بريء وأريد أن تهبه لي فقال: لك ذلك وأمر بإطلاقه وقال لحاجبه: إئتني بالمعلم فمضى إلى السجن وأمر السجان بخروج المعلم فقال: حباً وكرامة ثم فتح الباب فسمعه المختار فقال: يا أخي يا عميرة قد أتاك الفرج قال عميرة: يعزّ عليّ فراقك حتى يفرج الله عنك قال المختار: يا أخي أحب أن تقضي لي حاجة فقال: وما حاجتك؟ فوالله لأجتهدنّ في قضائها قال: إذا خرجت سالماً فاحتل لي بحيلة وأرسل لي ورقة ولو قدر أصبع ومداد ولو في قشرة جوزة وقلماً ولو كعقدة ابهام فقال: حباً وكرامة، وإذا بالنداء يا معلم، اخرج، فودّع المختار وصعد وأتى إلى الحاجب فأتى به إلى ابن زياد فنظر إليه وقال: عفونا عنك لأجل من سألنا في أمرك وإياك أن تعود. فقال: إني تائب أن لا أعلم صبياناً أبداً ولا أجلس في مكتب أبداً. ثم خرج وأتى إلى منزله ودعا بزوجته وأعطاها صداقها وخلى سبيلها وقال في نفسه: إني لأقضي حاجة أخي ثم عمد إلى كيس فيه مائة دينار، وطيبه بالمسك والعنبر، وعمد إلى شاة سمينة فشواها وأضاف إليها خبزاً كثيراً وفاكهة فلما جنّ الليل حمل ذلك كله حتى أتى دار السجان وطرق الباب فلم يجده، فسلم ذلك لزوجته وقال لها: إذا أتى زوجك فقولي له: إن المعلم يقرئك السلام ويقول لك: هذا نذر نذره ثم مشى، فلما ورد

السجان إلى منزله أخبرته زوجته بحال المعلم وما سلم من الهدية ففرح، ثم أن عميرة أتاه ثانياً بما قد أوصى به المختار وقال أقرئه مني السلام وقل له: إن كان لك خدمة فنحن لها.

(قال الراوي): وقد كان للسجان صبي رباه حتى بلغ فقال لزوجته: إني لا آمن على بناتي وعليك منه فقالت له: يا هذا هو عندي بمنزلة ولدي ولا يطيب قلبي على إخراجه من عندي وكان الصبي يسمع كل ما حصل فخرج إلى دكان بقال قريب من السجن وأخذ سوادا من القدر فسوّد وجهه وشق جيبه. هذا ما كان من أمره ثم رصد السجان حتى أوصل الدواة والقرطاس والقلم إلى المختار. وورد إلى باب الإمارة ونادى: نصيحة يا أمير فنظر إليه وقال: ما نصيحتك؟ قال: إن المعلم الذي حبسته ثم أطلقته قد حمل إلى أبي السجان ما هو كذا وكذا ليوصله إلى المختار فانقلبت عيناه وقال: عليّ بفرس فأوقفت بين يديه فركبها وسار إلى السجن وأقبل على السجان وضربه حتى خضبه بالدماء، ثم أمر بإحضار المعلم وضربهما فقال له السجان: أيها الأمير، ما هذه الجناية؟ فقال: يا ويلك! ظننت أن يخفى عليّ خافية فقال: ما الخبر؟ فقال له ما أخبره الغلام فقال: ها أنا والمعلم والمختار ما غاب منا أحد وما مضى على هذا الخبر يوم وإن المختار ما لحق أن يأكل الطعام فدونك وانظره فإن وجدت ما قيل لك فدماؤنا لك حلال فأمر ابن زياد الغلمان أن ينزلوا السجن ويصعدوا بجميع ما فيه من الطعام وغيره ففعلوا ذلك وفتشوه فلم يجدوا فيه شيئاً. وقد ستر الستار ثم صعدوا وأخبروه فخجل ثم قال: عليّ بالصبي فأحضروه بين يديه فقال له: ويلك! أخبرتني أن المعلم قد صنع مكيدة. فقال السجان: أيها الأمير ليس هذا ولدي بل وجدته طفلاً فأخذته وربيته حتى بلغ ثم أمرت زوجتي بإخراجه فأضمر لي ذلك. فلما سمع ابن زياد صدقه في قوله وأنعم عليه وعلى المعلم وخفف عن المختار قيوده وأمر بقتل الغلام. وارتدّ إلى قصره.

المختار يكتب الى عبد اللّه بن عمر

وقد كان المختار قسم الورقة نصفين وكتب لأخته كتاباً ولزوجها كتاباً وهو عبد الله بن عمر بن الخطاب وقد دسهما مع الدواة والقلم تحته حين التفتيش، ثم بعد أيام قلائل أخرج ما كان خبأه وسلّمه إلى السجان بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق أن لا يفشي سره. وأمره أن يسلم ذلك إلى المعلم، فأخذه ودفعه إليه، فقرأ عنوان الكتابين فوجدهما من المختار إلى مدينة النبي إلى عبد الله بن عمر فذهب إلى الحمام وحلق ومضى إلى ابن زياد وأخبره أنه عازم على الحج فقال: ادفعوا له ألف دينار فدفعوها له فأخذها وسار قاصداً المدينة فما كان إلّا أيام قلائل حتى وردها سالماً وأقبل على دار عبد الله بن عمر بن الخطاب زوج صفية أخت المختار وكانت قد قدّمت إليه مائدة عليها غرائب الطعام فقال لها: كلي معي فقالت: والله لا أكلت لذيذ الطعام حتى أعلم بخبر أخي فبينما هي كذلك وإذا بعميرة قد طرق الباب فقالت الجارية: من بالباب؟ فقال: رجل من أهل الكوفة قد أقبل في حاجة إلى مولاك، فلما سمعت صفية ذلك خرجت مغشياً عليها شوقاً إلى أخيها وقد بادر عبد الله إلى الباب ففتحه وأدخل عميرة وقدم إليه الطعام وأكلا معاً ثم أخرج الكتابين ودفعهما إليه فقرأ

عنوانهما ثم بكى وقام إلى زوجته وقال لها: أبشري فهذا كتاب أخيك فبكت وقالت: بالله لا تخفي عني من أمر أخي شيئاً فقرأ ولم يزل يقرأ حتى بلغ إلى قوله: مقيد مغلول مريض البدن وقد منع ابن زياد عني الأطباء فصرخت ودخلت مخدعها وجزت شعرها وشعر بناتها وجمعته بين يديها، فدخل عليها زوجها ورأى ذلك فقال: ويحك! ما هذا؟ فقالت: شعرى وشعر بناتي والله لا يجمعني وإياك سقف بيت وأخي على هذه الحالة فقال: والله لو أن أحداً يمضي بكتابي إلى يزيد لما كان أخوك لبث في السجن أكثر من ذهابه إليه.

عميرة يذهب الى الشام بكتاب عبد الله بن عمر

فقال عميرة: أنا أمضي بكتابك إلى يزيد قال: وهل تفعل ذلك؟ قال: نعم، فصرح وكتب إلى يزيد كتاباً يعظه فيه وسأله مكاتبة ابن زياد بإطلاق المختار، ثم ختمه وطواه وكتب عنوانه من عند عبد الله ابن عمر بن الخطاب إلى يزيد بن معاوية، ودعا بثوب ديباج ولف فيه الكتاب والشعر ودفعه إلى عميرة وقال له: إذهب بالكتاب إلى يزيد، ثم أمر أن توطأ له ناقة فوضع عليها ماء وزاداً ثم استوى عليها وسار إلى أن ورد دمشق فدخلها واكترى حجرة وكان في كل يوم يأتي مسجداً قريباً فيصلي مع الجماعة، وإذا فرغ من صلاته قال: رحم الله من دعا لي بقضاء حاجتي، ثم يأتي إلى باب يزيد ليدخل فلا يتمكن من الدخول. فلما كان في بعض الأيام قال لهم الإمام: يا قوم، إن أهل الكوفة فيهم جفاء وما نرى من هذا الشيخ إلّا المعرفة ومع ذلك يقول: رحم الله من دعا لي بقضاء حاجتي. ونحن لا نسأله عن حاجته فقالوا له: أنت أحق بالمسألة منا. فلما كان من الغد ورد عميرة على العادة وصلى معهم ثم خرج فقال الناس للإمام: قم واسأله عن حاجته، فمضى خلفه ودخل معه منزله فأكرمه ثم سأله الإمام

وقال: إنا سمعناك تقول: رحم الله من دعا لي بقضاء حاجتي فما حاجتك؟ فإن كانت ديناً فنحن نوفيه، فعند ذلك أطرق عميرة برأسه إلى الأرض متحيراً في ردّ الجواب، فلما رآه الإمام مطرقاً أقبل عليه وقال: له: يا هذا أنت ما لك مطرقاً أتخشى أن أبوح بسرك، فوالله العظيم ورسوله الكريم وعلي بن أبي طالب والحسن والحسين إن أخبرتني بحاجتك قضيتها لك.

فلما سمع عميرة كلامه وثق به ثم قال له: إعلم أني معلم أهل الكوفة واسمي عميرة وحدثه بالقصة من أوّلها إلى آخرها.

الترف الأموي

فلما سمع كلامه وعرف مرامه قال له: إذا كان الغد فالبس أفخر ثيابك، وتطيب ثم البس فوق ثيابك ثوباً رومياً، ثوباً زئبقياً، واشدد وسطك بمنديل زئبقي، وخذ على كتفك مثله وتأخذ هذا الثوب الذي معك تحت إبطك كأنك من بعض العمال. وسر إلى دار يزيد فإذا وصلت إليها فادخل أوّل دهليز تراه طويلاً وفيه دكتان عن اليمين وعن الشمال وعليهما بسط من الديباج الأحمر على كل دكة خمسمائة حاجب بين يدي كل حاجب غلام بيده مروحة يروّح بها عليه، فجز ولا تعبأ بهم. فإذا دخلت ترى داراً عالية ودكتان أخريان في دهليز آخر على كل دكة من الفرش ومن الرجال ومن الغلمان مثل ما تقدم فجز ولا تعبأ بهم، وادخل فترى مثل ما تقدم وهكذا إلى أن تجوز الدهليز الثامن ترى ثلاثة أنفار معهم المجامر يبخرون الحمام ليزيد فلا تلتفت إليهم، وادخل ترى غلاماً أمرد حسن الوجه وعليه قباء ديباج وعلى رأسه عمامة وفي رجليه خفان من الأديم وبيده مدخنة من الفضة والأخرى صينية من الذهب فيها ند وعليها إناء مملوء ماء ورد لغسل الحمام وتبخيره فلا تخاطبه ثم يخرج من بعده غلام اخر وفعله كفعله فلا تلتفت إليه ولا إلى من تقدم فإنك متى التفتّ إليه أو

إلى من تقدم عرفوا أنك غريب فيقبضوا عليك ثم إذا جزت هؤلاء بأجمعهم فانظر إلى غلام حسن الوجه كأنه القمر عليه قباء أسود وعمامة سوداء وذلك حزناً على الحسين منذ قتل لا يأكل إلّا خبز الشعير وملح جريش وهو من شيعة الحسين ويزيد مشغول بحبه فإذا رأيته فأسرع إليه وقبّل يديه واعطه الكتاب وقل له: أنا من شيعة الحسين، وقل له حاجتك فإنه يعينك على قضائها فإنه أستاذ الدار وقوله المطاع عند يزيد وسائر دولته ومملكته وكلهم يخدمونه بالنوبة وأن يزيد لا يثق ولا يأنس إلّا به وستراه إذا ذكرت الحسين يبكي ولا يملك عبرته وكل ما أمرك به افعله.

قال عميرة: جزاك الله خيراً ثم انصرف الإمام فلما كان من الغد صلّى عميرة صلاة الفجر ثم فعل ما أمره به ثم وافى دار يزيد فرأى الوصف الذي وصفه الإمام ثم تقابل مع الغلام فلما نظره أقبل عليه مسرعاً فقال: لا إلٰه إلّا الله والله أكبر يا عميرة، أين كنت منذ سبعة عشر يوماً وأنا متوقع لك فما الذي أخرك عني وأنا مستنظر لقدومك!؟ قال عميرة فقلت: يا سيدي ومن أعلمك باسمي وأخبرك بخبري وإنني دخلت دمشق منذ سبعة عشر يوماً ولا رأيتك ولا رأيتني قبل يومي هذا.

فقال: إعلم أني رأيت مولاي الحسين بن علي في منامي وهو الذي حدثني بخبرك ثم أخبرني بقضاء حاجتك وأعلمني أنّ جدّه شفيعك يوم القيامة وأنه سابقك إلى الجنة وأنك تحشر بين يدي ربه فتقول هؤلاء الذين تولوني ونصروني ثم بكيا.

(قال الراوي): قال عميرة: فبينما نحن كذلك وإذا بخدم كبار وصغار أكبرهم له عشرون سنة وأصغرهم ابن سبع وهم يزيدون عن خمسمائة خادم بالأقبية الديباج والمناطق الذهبية وبأيديهم دبابيس الجوهر وإذا بيزيد قد أقبل وعليه ثوب زئبقي وعلى رأسه رداء أسود مطوي أربع طبقات معلّم

بالذهب وفي وسطه منديل مقضب بقضبان الذهب وفي رجليه نعلان من الذهب شراكهما اللؤلؤ الرطب مبطنان بالحرير وقد سوّد الله وجهه في الدنيا والاخرة وفي وجهه ضربة كفم البعير وهو أفطس الأنف لا يطأ على الأرض برجليه إلّا تكاد تهتز ويخطر مثل جمل هائج وهو يتوكأ على قضيب خيزران.

قال عميرة: فلما نظرت إليه جرت عبرتي على خدي لأنني تذكرت مولاي الحسين بن عليّ وما جرى له من يزيد ثم أن الغلام أخذ الكتاب من يدي واستقبله قبل أنْ يصل إلينا وقال له: يا أمير المؤمنين، أما حلفت بحق أبيك أنك تقضي لي كل يوم حاجة قال: بلى قال: قد سألتك بحق أبيك إلّا ما قضيت لي حاجتي قال: ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن تقرأ هذا الكتاب في هذه الساعة فدفع إليه الكتاب ففكه وقرأه وهو قائم فلما فهم ما فيه قال أين موصل هذا الكتاب؟ قال: ها هو يا أمير المؤمنين. فقال: عليّ به قال عميرة: فأتيت إليه ووقفت بين يديه فإذا هو ذميم المنظر أحمر اللون منقوط الوجه سواده كثير وما فيه خصلة من خصال الملوك. قال عميرة: ثم إنه أقبل عليّ وقال لي: هذا كتاب عبد الله بن عمر بن الخطاب يسألني الإفراج عن المختار من سجن عاملي عبيد الله بن زياد قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: وأنت من شيعة الحسين بن علي؟ فقلت: أنا رجل استأجرني عبد الله بن عمر لأجل هذا الكتاب إلى حضرتك يا أمير المؤمنين. فقال له الغلام: يا مولاي، ما عليك منه إن كان من شيعة الحسين أو من غيره أجبه عن كتابه؛ فدعا بدواة وبياض وكتب كتاباً إلى عبيد الله بن زياد بالإفراج عن المختار بن عبيد الله الثقفي وأن يحمله إلى المدينة مكرماً إلى عبد الله بن عمر وأمره بالإحسان إليه ثم أنه رفع رأسه إلى الغلام وقال له: يا غلام قد قضينا حاجتك والله لقد

وددت أنه سألني في مالي ألف دينار وأهبها لك ولا أفرج عن المختار ولكن قد جمعنا بذلك بين الحالتين إحداهما: قضاء حاجة عبد الله بن عمر نتخذها عنده منّة وحمدا وشكراً والثانية: أنعمنا عليك وأجبناك إلى ما سألت. ثم طوى الكتاب، ودفعه إلى عميرة ثم قال: يؤتى له بناقة وخمسة آلاف درهم وخلعة فما كانت إلّا لحظة حتى أتى له بما أمر به يزيد. قال عميرة: فأخذت ذلك والكتاب وخرجت من دمشق ولم أزل سائراً حتى وصلت الكوفة بعد أحد عشر يوماً ثم وردت إلى ابن زياد وقد ضيقت لثامي وغيرت لباسي بأثواب يزيدية.

(قال الراوي): قال عميرة سألني رجل من أين أقبلت؟ قلت: من عند يزيد وما عرفني ثم دخلت على ابن زياد فضحك ضحكة الغضب وقال: يا ويلك! فعلتها قلت: نعم ثم أخرجت الكتاب من كمي ودفعته إليه فأخذه وقبّله واستوى قائماً وقعد كما هي عادته ثم جلس وقال: سمعاً وطاعة ثم أمر بإحضار المختار فما كان إلّا قليل حتى مثل بين يديه فأمر بفك قيوده وأغلاله وأحضر له طبيباً فداواه ثم أمر له بالحمام فدخله ثم خلع عليه خلعة وأمر له بعشرة آلاف درهم ولعميرة بمثلها ثم أمر له بناقة محملة بالزاد والشراب وناقة أخرى لركوبه فحضروا بهما وذلك بعد أن قدّمت إليهم مائدة عليها غرائب الطعام. قال عميرة فقلت له كل فقال لي سر والله لا أخالط ريقي لحماً حتى أقتل من بني أمية كما فعلوا بالحسين ثم أجلس أنا وأنت ونأكل لحماً وغيره ثم قاموا وقد قربت النوق فتقدم المختار إليهما وقال: إستودعتك الله يا أخي فقلت: لا والله ما أفارقك أبداً حتى أموت فقال لي :إركب معي فركبت وتقدم الجمال وأخذ بزمام الناقة ثم سرنا نجدّ في السير حتى قدمنا المدينة وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب قد طبخ له هريسة وكان يحبها وقد قدمت له فجلس يأكل ويقول لزوجته:

كلي معي وكان يحبها حباً شديداً فقالت: والله لا آكل حتى أعرف خبر أخي

قال عميرة فبينما هم في الكلام ونحن نطرق الباب فقالت الجارية: من؟ فقال: أنا المختار فلما سمعته أخته عرفته ففتحت لهما ثم وثبت إليه وبكت وقبلته واعتنقته ثم بكيا جميعاً وقد طال عناقهما ثم سقطت إلى الأرض فحركوها فإذا هي قد قضي عليها رحمة الله عليها فأخذ المختار في تجهيزها فدفنت في حجرتها، وحزن عليها عبد الله والمختار حزناً شديداً ثم أن المختار أقام في المدينة إلى أن أراد الله أن ينتقم من ظالمي آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ويأخذ بالحق ممن سفك دماءهم وينتقم ممن غصبهم في حقوقهم.

هلاك يزيد بن معاوية

(قال الراوي): هذا ما كان من أمر المختار وأما ما كان من أمر يزيد فإنه ركب في بعض الأيام في خاصّته وجيشه وهم عشرة آلاف فارس وخرج إلى الصيد والقنص فساروا حتى بعدوا عن دمشق قدر يومين فلاحت لهم ظبية فقال لمن حوله لأجدنّ في طلبها ولا يتبعني أحد، ثم أسرع بجواده في طلب الظبية وجعل يطاردها من موضع إلى موضع حتى أتت وادياً عظيماً فدخلت فأسرع في طلبها فلما توسطه لم يجدها وقد أخذه العطش الشديد فلم يجد هناك ماء فعند ذلك أمر الله سبحانه وتعالى زبانية جهنم بخطفه فخطفوه وكان له عشرة أصدقاء فلما لم يجدوا له خبراً خرجوا في طلبه في ذلك الوادي فاختطفتهم الزبانية وألحقوهم به ولم يعرف لهم خبر إلى وقتنا هذا وإسم ذلك الوادي يعرف بوادي جهنم.

(قال الراوي): هذا ما كان من أمر يزيد وأصدقائه، وأما ما كان من أمر الجيش فإنه لم يزل يتردد بالوادي طولاً وعرضاً فما استدل على سيده وندمائه فرجع إلى دمشق. وقد أخبروا الناس بذلك فوقعت الفتن فيهم وتنبه المؤمنون فتبادروا إلى داره وذبحوا أولاده وحريمه وأخذوا جميع ماله.

ثورة الكوفيين

(قال الراوي): وكان يزيد مولّي ابن زياد على الكوفة والبصرة فكان يقيم في كل منهما ستة أشهر وكان في ذلك الوقت في البصرة فكان في حبسه الذي بالكوفة أربعة آلاف وخمسمائة فارس وهم الذين كانوا مع المختار مقيدين مغلولين ولم يتمكنوا لذلك من نصرة الحسين، فلما جاء الخبر بهلاك يزيد فأول ما فعل أهل الكوفة أن نهبوا دار ابن زياد وقتلوا أصحابه وأولاده وهتكوا حريمه وأخذوا خيل رجاله وكسروا حبسه وأخرجوا من فيه وهم المتقدم ذكرهم، فكان فيهم سليمان بن صرد الخزاعي وسعيد بن صفوان ويحيى بن عوف ومثلهم من الأبطال والشجعان فلما خرجوا تقاسموا الخيل والمال وأهلكوا الباقين من أهل ابن زياد ولم يبق منهم إلّا نفر قد هربوا وساروا إلى البصرة وأعلموه بما حصل فلما سمع بذلك أمر بالنداء في شوارع البصرة أن تجتمع الناس في الجامع فاجتمعوا ثم حضر ورقى المنبر وكان الناس لا يعلمون بهلاك يزيد فقال لهم: أيها الناس، إعلموا أني ذاهب إلى الكوفة لأجل حوائج عرضت لأمير المؤمنين فحاضركم يعلم غائبكم أني مخلف عليكم خليفتي وأنا سائر على بركة الله فقالوا: سمعاً وطاعة. وقد عرفهم بالخليفة من

بعده، ثم عزم على المسير باكراً يومه وقد أحضر الرجال والفرسان لما بلغه أن أهل الكوفة مرتقبون له في الطريق، وكان معه عمر بن الجارود وهو مطاع في قومه، وكان له أحد عشر ولداً، كل واحد يعدّ بعشرة أبطال وله ألف مملوك ثم أن عمر بن الجارود سار هو وابن زياد يريد الكوفة. فلما سمعوا بخروج من في السجن وقد انضاف إليهم أهل الكوفة وهم بارزون في البرية مرتقبون ابن زياد.

ابن زياد يشد على بطن الناقة خوفاً من الثائرين

(قال الراوي): وكان لعمر ولد ينظر الغبرة على حد فرسخين. ويعلم هل هي عبرة خيل أو غيرها فمدّ نظره فرأى غبرة تلوح فأقبل على أبيه وقال: إني أرى غبرة وخيلاً كثيرة من نحو الكوفة، وأظن أنها في طلبنا فلما سمع أبوه ذلك، أقبل على ابن زياد وقال له: أصدقني من قبل أن يصل القوم إلينا ما الذي أخرجك من البصرة؟ قال له: إعلم أن يزيد قد هلك فوصل خبره إلى الكوفة فنهبوا داري وهتكوا حريمي وذبحوا أطفالي ورجالي وأخذوا خيلي وكسروا حبسي وأخرجوا خصمي وأظن أنهم علموا بقدومي فقعدوا ينتظرونني.

فقال له ابن الجارود: إن كان الأمر كما تقول فوالله ما لك منهم مخلص إلّا بما أشور به عليك فقال وما تشور؟ قال: أشدك تحت الناقة وأحمل عليها الماء وأجعلها بين النوق ومتى جاؤوا إلينا فتشونا فلم يجدوك فقال: إفعل ما تريد، ففعل ابن الجارود ما ذكر فما كان إلّا قليل حتى طلع عليه سليمان بن صرد الخزاعي وهم ينادون: يا لثارات الحسين! قال سليمان: بلغنا أن معك عدو الله ابن زياد وتريد أن تحمله إلى الشام

فقال ابن الجارود: نحن في نهار وفي برية فأذهب أنا وأولادي وعبيدي ورجالي بعد أن تفتشونا ثم فتشوا أحمالنا، ففعل سليمان ذلك هو وأصحابه فلم يجدوا اللعين فولوا راجعين ثم قال سليمان: يا قوم إنّ الذي أخبركم بخروج ابن زياد من البصرة لصادق وإني أظن أنه سار إلى أولاد يزيد فنمضي إليه ونكمن له في الطريق فإذا لقينا واشتفينا منه لآل محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه ولا نتركه يذهب ولا نترك أحداً من بني أمية ولا ممن عاون في قتل الحسين إلّا قتلناه فقالوا: نحن بين يديك.

(قال الراوي): هذا ما كان من أمر سليمان وأصحابه وما اتفقوا عليه. وأما ما كان من أمر عمر فإنه لما بعد القوم عنهم وغابوا تقدّم إلى ابن زياد وحله عن ظهر جواده وأعاده فوهب له عشرة آلاف دينار وهي التي كانت معه ثم ساروا إلى دمشق حتى دخلوها وقد اجتمعت أهل دمشق وسائر الناس على مبايعة عبد الله بن عمر بن الخطاب.

ابن زياد يرشّح مروان للخلافة

(قال الراوي): هذا ما كان من أمر أهل دمشق وأما ما كان من أمر ابن زياد فإنه دخل على مروان بن الحكم وذلك بعد أن أبلغه ما عليه أهل دمشق وقال له: أنت موجود ويبايع الناس لعبد الله بن عمر فلما سمع كلامه قال: ماذا أصنع؟ قال: تجمع الناس وتقبضهم الأموال وتسألهم بيعتك فإذا بايعوك جردت معي جيشاً للعراق والكوفة، وأنا أبايع لك أهلهما فمتى بايعوك سرت إلى مكة والمدينة وخطبت لك فيهما ثم أكتب إلى خراسان وأصفهان وأعمال فارس وطبرستان أنك أنت الأمير وأن الناس قد اجتمعوا على بيعتك فعند ذلك يخطب لك من في المشرق والمغرب فقال مروان: إفعل ما أردت فأنا وأنت في هذه الإمارة سواء؟ ثم أن مروان انتقل من داره إلى دار يزيد وأنفق ما عنده من المال على رجاله والأبطال ثم عقد لابن زياد الرايات وأرسله إلى العراق والكوفة في مائة ألف فارس فأخذهم وسار ليقتل من ضادّه في الخلافة وذلك بعد أن قال له: قد عطيتك الكوفة والبصرة وزدتك الحرمين، ففرح إبن زياد لذلك، ثم سار هو ومن معه وكان ابن زياد قبل ذلك قد أرسل غلاماً من غلمانه أمامه ومعه الذخائر والمآكل والمشارب والعلوفات ولم يزالوا سائرين حتى

وصلوا إلى أوّل أعمال العراق ثم أنه عقد لقائد من قوّاده راية وضمّ إليه ثلاثين ألف فارس وقال له: كن أمامي فإنه بلغني أنّ في طريقي أربعة آلاف وخمسمائة فارس من شيعة الحسين وهم الذين سجنتهم مع المختار ثم أطلقوا بعد هلاك يزيد وفعلوا بالكوفة ما فعلوا والآن يريدونني فإذا لاقيتهم فلا تبق منهم واحداً وها أنا على أثرك، ثم ارتحل القائد بمن معه بعد أن قبل ركابه وقال: أنا أكفيك شرهم.

سليمان بن صرد يقاتل جيش ابن زياد

(قال الراوي): هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر سليمان وأصحابه فإنهم قد نزلوا في موضع يقال له: عين الوردة ينتظرون قدوم ابن زياد وكان كل من مرّ بهم من بني أمية وأشياعهم يقتلونه فبينما هم كذلك إذ طلعت عليهم راية القائد المذكور فلما نظرها سليمان وأصحابه ركبوا خيولهم وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ونادوا: يا آل بيت الحسين، ثم قال لهم سليمان: هذا ابن زياد ورايته مكتوب عليها اسم مروان فأظن أنه مضى إلى دمشق وبايع له الناس فاحملوا بارك الله فيكم ونصركم على أعدائه وأعداء رسوله، فعند ذلك قوّموا الأسّنة وأطلقوا الأعنة ونادوا بأجمعهم: لا إلٰه إلّا الله محمد رسول الله، يا لثارات الحسين! ثم حملوا على القوم وقاتلوا قتالاً شديداً ولم يزالوا كذلك إلى أن أدركهم الليل، وحال الظلام بين الفريقين وقد حصر سليمان من قتل من أصحابه فإذا هم ألف وخمسمائة فارس وأما قائد ابن زياد فإنه قتل من أصحابه خمسة آلاف فارس ثم باتوا وما فيهم أحد يملك نفسه من شدّة التعب وألم الجراح إلى أن طلع الفجر ولاح، فأذن سليمان وصلى بأصحابه صلاة الافتتاح ثم ركبوا خيولهم وذكروا سيد الملاح، ثم حملوا وهم ينادون: يا لثارات الحسين! وقد حمل عليهم القوم ولم يزالوا في

طعن وضرب وكرّ وفرّ إلى أن هجم الليل ومنع الفريقين وقد حصر كل من الفريقين فإذا أصحاب قائد ابن زياد قد قتل منهم عشرة آلاف فارس وانهزم الباقون، وأما أصحاب سليمان فإنهم في حفظ من الرحمٰن ثم لما أن رأى سليمان وأصحابه انهزام القائد ومن معه نزلوا موضعهم وملكوا خيامهم وتقاسموا سلبهم.

(قال الراوي): هذا ما كان من أمر سليمان وأصحابه. وأما ما كان من أمر قائد ابن زياد وأصحابه فإنهم لما انهزموا لم يزالوا سائرين حتى لحقوا بابن زياد وهم منه على مسيرة يومين، فلما راهم على تلك الحالة عظم عليه وكبر لديه. وقال: يا ويلكم! أنتم ثلاثون ألفاً تنهزمون من أربعة الاف وخمسمائة وقد قتلوا منكم خمسة عشر ألف فارس، ثم جعل بجدّ في المسير، ويقطع الأرض قطعاً فأصبح في اليوم الثالث بالقوم وقد بقي سليمان وأصحابه وهم ثلاثة آلاف فارس فلما عاين العسكر، جميع أصحابه وركبوا خيولهم وحملوا عليهم ونادوا: يا لثارات الحسين! ولم يزالوا في قتال إلى أن هجم الليل وقد حال الظلام بين الفريقين. وقد حصر كل منهما من قتل من أصحابه فإذا قد قتل من ابن زياد اثنا عشر ألف فارس. ومن أصحاب سليمان ألفان، ثم أن سليمان أقبل على أصحابه وقال: بارك الله فيكم. فقالوا: أيها الأمير قد كنّا أربعة آلاف وخمسمائة والآن صرنا ألفا وابن زياد في ثلاثة وسبعين ألف فارس فإن أصبحنا على الحرب قتلنا عن اخرنا، فالصواب أننا نعبر إلى جانب الفرات ونقطع الجسر ونسير إلى الكوفة أو أرض العراق ونجمع الجيوش ونلقى أعداء الله وأعداء رسوله.

فقال: يا قوم، لا أقوم ولا أفارق عدوّ الله أبداً حتى أبلغ منه إرادتي، فإن كنتم تقاتلون لطلب ثار ابن بنت رسولكم فاثبتوا.

فقالوا: والله ما نقاتل إلّا لطلب ثارات الحسين، وما لنا في الدنيا من حاجة، وما نرجو بذلك إلّا التقرب من الله تعالى ورسوله، وها نحن بين يديك حتى نقتل عن آخرنا، ثم أنهم باتوا تلك الليلة حتى أصبح الله بالصباح، وأضاء بنوره ولاح، فصلى بهم صلاة الافتتاح، ثم ركبوا خيولهم وذكروا سيد الملاح والتقى الجمعان ولم يزالوا في قتال وخصام مدة سبعة أيام، فلما كان في اليوم الثامن، أصبح سليمان وقد بقي معه سبعة وعشرون فارساً، ومع ابن زياد سبعة وستون ألف فارس، ولم يزالوا يقاتلون إلى أن هجم الليل ومنع الفريقين، فرجع سليمان وأصحابه بعد العشاء الأخيرة وقد أصاب كلاً منهم نحو مائة ضربة. فعبروا الفرات وقطعوا الجسر، ونزل ابن زياد في الجانب الآخر بعسكره وليس فيهم رجل يطيق الكلام مع صاحبه من التعب. وقد ركبهم الغبار، وعاد الدم عليهم كالمكبات، وتغيرت أصواتهم من كثرة الزعاق، وكانت الخيل تسقط من الجوع والعطش والتعب الذي مرّ بهم.

(قال الراوي): هذا ما كان من أمر ابن زياد وعسكره وأما ما كان من أمر سليمان وأصحابه فإنهم ألقوا نفوسهم عن ظهر خيولهم وهم يقرأون القران ويصلّون على رسول الله الملك الديّان وما فيهم أحد إلّا ويتمنى الشهادة ويقول: اللهم ألحقني بمولاي الحسين وكان ذلك في اليوم الثالث. وقد رأى سليمان في منامه أنه في روضة خضراء وفيها أشجار وثمار وأطيار، وكأنه قد أتى به إلى قصر من ذهب وإذا بأمرأة قد أقبلت عليه وهي متخمرة بخمار من سندس وعليها حلل من سندس أخضر. قال سليمان: فلما رأيتها كاد قلبي أن ينقدح هيبة وإجلالاً لها فضحكت في وجهي. وقالت: يا سليمان قد شكرك الله واخوانك بهذه الفعال فشكرناكم فأبشروا فإنكم معنا حيث حللنا وجميع من قتل في محبتنا، ثم دمعت عيناها رحمة لنا.

فقلت: يا سيدتي من أنت؟ فقالت: خديجة الكبرى وهذه ابنتي فاطمة الزهراء وهذان ولداها الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين وهما يقولان لك: أنت عندنا غداً بعد الزوال ونجتمع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفض عليك هذا الماء وعجّل الأوبة علينا والقدوم إلينا فانتبه سليمان وإذا عند رأسه قدح من ذهب مملوء ماء فأفاضه عليه وترك القدح واشتغل بلبس ثيابه فذهب القدح حيث أتى فقال: الله أكبر ثلاث مرات ولله الحمد فانتبه أصحابه لتكبيره وقالوا: ما الخبر أيها الأمير؟ فقال: أتتني خديجة الكبرى هي وأولادها وأخبرتني أنني عندها بعد الزوال ونجتمع بين يدي رسول الملك المتعال ثم ناولتني قدحاً فيه ماء فأفضته عليّ ووضعته فغاب عني وها أنا لا أحس بألم الجراح ثم سجد هو وأصحابه شكراً لله ولم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر ولاح فصلّى بهم صلاة الافتتاح ثم ركبوا خيولهم وعبروا الفرات حتى وصلوا الجانب الذي فيه ابن زياد وعسكره فحملوا عليهم والتقى الجمعان. ولم يزالوا كذلك إلى وقت الظهر. فدارت عليهم الأعنة وحطت فيهم الأسنة فقتلوا عن اخرهم رحمة الله تعالى عليهم وجزاهم بما صبروا الجنة. ثم أنّ ابن زياد أمر بحزّ رؤوسهم فحزّت. ثم وجّه بهم أنفاراً إلى مروان بن الحكم وأقام ينتظر ردّ الجواب.

المختار يجتمع بإبراهيم بن مالك الأشتر ويستنصره

(قال الراوي): هذا ما كان من أمر سليمان وأصحابه وما حل بهم من ابن زياد. وأما ما كان من أمر صاحب الأمر ومن إرادته فوق كل إرادة فإنه قد أعان المختار وأرسله من مدينة يثرب إلى الكوفة ومعه خاتم فمضى به إلى ابراهيم بن الأشتر وقال له. يرحمك الله إنني قد أتيتك برسالة من محمد بن الحنفية وهو يأمرك بأن تأمر أهل الكوفة على بيعته لأنه متوعّك من قروح أصابته بسبب عين نظرته فلذلك منع عن الخروج مع أخيه الحسين في يوم كربلاء وفي هذا الوقت، فلما سمع إبراهيم كلام المختار قال له: إعلم يا أخي أننا نسمع ونطيع ولو لم نعلم أن هذا الكلام حق فقد وجب علينا أن يجمع بعضنا بعضاً ونتشاور في أخذ ثار الحسين وننظر ماذا يردّون علينا من الجواب قال: فلما كان من الغد وصلّى إبراهيم بالناس صلاة الفجر أقبل عليهم وقال: يا أهل الكوفة، هذا المختار قد ورد من المدينة ومعه خاتم محمد بن الحنفية وهو يأمركم أن تبايعوه وتأخذوا بثار الحسين فماذا تقولون؟ فقالوا: لن نبايع حتى نرسل خمسين رجلاً من شيوخنا إلى المدينة ليسألوا محمداً عن هذا الخبر إن كان حقاً بايعنا وقاتلنا ولو قتلنا عن آخرنا وإن كان باطلا فنحن بضد ذلك.

وفد أهل الكوفة
إلى المدينة واجتماعهم بمحمد بن الحنفية

ثم اختاروا منهم خمسين شيخاً ووجهوهم إلى المدينة فلما وردوها أتوا إلى دار محمد واستأذنوا بالدخول فأذن لهم فدخلوا وسلموا عليه وقالوا: يا ابن أمير المؤمنين، قد أتيناك من الكوفة قاصدين وذلك أن المختار ورد علينا ومعه خاتم وأخبرنا أنه خاتمك وأنك تخاطبنا لبيعتك وأخذ ثار أخيك فقال: يا قوم أنا ما وجهت إليكم خاتماً ولا غيره ولكن كان الواجب عليكم أن تنصروه وتجاهدوا بين يديه. ولكن خذوا هذا خاتمي فسلموه له وقد وليته عليكم فأطيعوه فأخذوا منه الخاتم ورجعوا إلى الكوفة. ولم يزالوا إلى أن نزلوا القادسية فبلغ المختار نزولهم فيها فدعا بعبده وقال له: إمض إلى دروب الكوفة وتجسّس الأخبار ممن أتى من القادسية هل كانوا في المدينة جاؤوا بولايتي، فإذا كانوا جاؤوا بها فأنت حر، وإن كانوا غير ذلك فلا ترجع.

فتوجه العبد فرحاً إلى القادسية فوجد القوم قد وردوا ومعهم خاتم ابن الحنفية وقد جمعوا أهل القادسية وبايعوهم له وأخبروهم بإمارة المختار عليهم، ثم أمروهم بالمسير إليه والجهاد بين يديه، فلما سمع العبد ذلك انثنى راجعاً إلى سيده وحدثه بذلك ففرح فرحاً شديداً ثم قدم المشايخ وأخبروا إبراهيم وسائر أهل بلدهم فبايعوا وأطاعوا المختار جميعهم.

إبراهيم يخرج لقتال ابن زياد

فعند ذلك عقد راية ودفعها إلى إبراهيم، وضم إليه أربعة عشر ألف فارس وأمرهم بالمسير إلى أعمال الشام لقتال عدوّ الله ابن زياد فرحل إبراهيم ومن معه عن طريق الغاضريات فجعل يجدّ في المسير تسعة أيام، وفي اليوم العاشر نزل بأنبار وعبر الجيش فخرج إليهم أهل أنبار واستقبلوهم وقالوا: لمن هذا الجيش؟ فقيل لهم: جيش الحسين، فأخرجوا إليهم العلوفة والزاد فما قبلوا منهم شيئاً إلّا بثمنه ثم ساروا ونزلوا بالنخل الأسود والحصى المجتمع وهو الكثيب على غير الطريق، فأقام بهم هناك إبراهيم يومين، ثم رحل بهم ونزل بالجلجا فأقام بها يوماً وليلة. ثم رحل بهم ونزل إلى صدر الروضة، وأقام بها ثلاثة أيام، ثم رحل بهم ومر على الدار الكبرى، ثم نزل إلى أرض البالست ولها ثلاث حصون، ثم رحل بهم ونزل بالعواضة، ولها حصنان، ثم رحل بهم ونزل بدير الجماجم، ثم رحل بهم ونزل بدير الجالية، ثم رحل بهم، ونزل بالمنصورية والزهرة، ثم رحل بهم ونزل بالدير اللطيف ودير القس، ثم رحل بهم، ونزل بتكريت وكانت منيعة حصينة فغلقوا الأبواب حين نظروا الجيش فقالوا: لمن هذا؟ فقالوا: لأخذ ثار الحسين فعند ذلك أعلنوا

بالبكاء والنحيب، وفتحوا الأبواب، وهم ينادون: واحسيناه! يعزّ علينا يا أبا عبد الله، ثم أتوهم بالزاد والعلوفة فقالوا لهم: لا نأخذ شيئاً إلّا بثمنه، فعند ذلك اجتمعوا عند إبراهيم وقالوا له: نحن لنا في هذا الأمر حظ ونصيب وأننا قد أخرجنا من أموالنا خمسين ألف دينار ونسألك أن تقبلها منا وتستعين بها على أمرك، فلم يقبل ذلك ثم رحل ونزل ببادية يقال لها: الباليط، ثم رحل بهم ومر بالموصل فسلّ أهلها في وجوههم السيوف فساروا ولم يلتفتوا إليها حتى نزلوا بعينين وكان بها رجل من وجوه بني شيبان يقال له: حنظلة بن مغاور الثعلبي، وكان له عشرة أولاد فكتب إليه إبراهيم كتاباً يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من خادم الحسين إلى حنظلة. أما بعد، إنك تعلم ما جرى للحسين ومن معه ونحن أصحابه وطالبون لثاره فنسألك بحقه وحق جده أن تبيح لنا العبور من هذا الباب والخروج من الآخر من غير إقامة، وعند دخول رسول إبراهيم إلى حنظلة ورد رسول ابن زياد فاستلم الكتابين وقرأهما فوجد كتاب ابن زياد مكتوباً فيه: من عند ابن زياد إلى حنظلة. أما بعد، حين وصول الكتاب تجمع العلوفة والزاد لمائة ألف فارس طوعاً لأمير المؤمنين، ولا تتوان فيما أمرتك به ونفسك مرتهنة على ذلك. فغضب ومزّقه ورماه ثم قال لأصحابه: اضربوا عنق رسول ابن زياد وأما كتاب إبراهيم ففرح به وأحضر رسوله، وخلع عليه وطوّقه بطوق من الذهب وأركبه سابقاً من الخيل وقال له: إنطلق إلى سيدك، واعلمه بأني مقيم له بالعلوفة والزاد وأن بلدي له موطىء، فعاد الرسول راجعاً إلى إبراهيم وأعلمه بذلك ففرح وتكامل عسكره خمسة عشر ألف فارس. فقدم إليهم من عند حنظلة القباب والخيام والسرادق، ثم نصبت لهم وقد شق أهل هذا البلاد جيوبهم وجزّوا شعورهم حزناً على ابن بنت نبيهم، ثم حمل حنظلة إليهم الهدايا السنية

والعلوفة والزاد فلم يقبلوا منه شيئاً، ولا من أصحاب بلده إلّا بثمنه فشكروهم على ذلك ودعوا لهم بالنصرة فأقاموا بها يومين ثم رحل إبراهيم وقومه ومعه حنظلة وأولاده وعبيده وأصحابه وخاصّته في ألف فارس وجعلوا يسيرون حتى نزلوا على قلعة ماردين. وكان حنظلة أقام فيها نائباً من قبله فنظر أهل القلعة إلى الجيش وأخبروا وليهم فبعث غلاماً يستخبر لمن هذا الجيش؟ فنزل الغلام وأسرع إلى الجيش فرأى حنظلة وبجانبه الأمير إبراهيم فتقدم الغلام، وقبّل الأرض بين يديهما فقال له حنظلة: يا غلام، أدع والدك فرجع إلى والده وقال له: يا أبت، هذا الأمير حنظلة ومعه عرب من عرب الكوفة، وهو يدعوك فنزل صاحب القلعة إلى الأمير حنظلة فسلم عليه وعلى الأمير إبراهيم فرد عليه السلام وقالوا له: هل أنت لعدو الله على علم أو ما علمت له من خبر؟ فقال الأمير: لو كنت قدمت إليّ قبل هذا الوقت لسلمت إليك ابن زياد أخذاً باليد فقال: وكيف ذلك؟ فقال: إعلم أنه قد جاءني قبل اليوم ومعه حريمه وأولاده وأربعون بغلا عليها مال فأودعها في القلعة وها هو على عشرين ميلاً في قرية يقال لها: المدينة فقال له إبراهيم: بشرك الله بالخير، فأين حريمه وأولاده؟ قال: عندي قال: أحشرهم قال: سمعاً وطاعة لله ولك يا أمير. ثم مضى إلى القلعة فجاء منها بأربعة من أولاد ابن زياد الأكبر منهم من سنه عشرون سنة ومائة وثلاثين جارية وأربعين حملا من المال ذهباً وورقا وصناديق مملوءة خزاً وقباطي مصرية وديباجا. فأقبل إبراهيم على أصحابه وقال: يا أيها الناس، هذه بنات ابن زياد وأولاده وأنتم تعلمون أنه قتل علي بن الحسين وله من العمر خمس عشرة سنة وقتل عون بن علي وهو ابن احدى وعشرين سنة وقتل محمد بن علي الأصغر وله أربع عشرة سنة وقتل عثمان وله عشر سنين. ونهب حريم رسول الله عليه الصلاة والسلام، وساقهم

على الأقتاب بغير وطاء. فوالله ما أبقيت على وجه الأرض من ذرية ابن زياد أحداً. ثم سلّ سيفه وكذلك أصحابه ووثبوا إلى أولاد ابن زياد وحريمه وجواريه وقطعوهم قطعاً وهم ينادون: يا لثارات الحسين! حتى قطعوهم عن آخرهم ثم أقبل صاحب القلعة على إبراهيم وقال له: إعلم أيها الأمير، وأنا أريد أن أغزو بنفسي في طلب ثار الحسين وأقتل ابن زياد ولو أقتل أو أوقعه لك بلا قتل قال: وكيف ذلك يا أخي؟ قال: أسير أنا وأنت وأولادي حتى نقرب من عسكره فإذا صار بيننا وبينه فرسخ نصبت خيمة وقعدت أنا وأنت فيها وأرسل بعض أولادي إليه فيقول له إن أبي يقول لك: إعلم أن الأمير حنظلة اتبع رأي إبراهيم وقد بلغني أنه حلف ليضربن بالسيف هو وأولاده وسائر دولته طلباً لثار الحسين. وأنت تعلم أن القلعة له والآن يطلبني بأولادك وحريمك ومالك الذي عندي، وأريد أن تخرج قومك وتأتي لتخلو معي ونتشاور فيما يجور فعله ولا يأتي أحد معك لأني لا آمن أن يكون للقوم خبر بأن أولادك وحريمك ومالك عندي وبيني وبينك محبة فإنه يجيء ولا يتأخر لأنه يثق بي على نفسه، كما يثق بي على حريمه وماله وأولاده. فإذا جاء أدخلته الجنة وأوقفته بين يديك ثم تملك أنت قوائم سيفك وتضرب عنقه وتعود إلى عسكرك وتأخذهم وتحمل على عسكره فإنه لا يجتمع لهم شمل إلى يوم القيامة قال إبراهيم: يا أخي، أنا أجيبك إلى ذلك وأسير معك ولكنني قد رأيت رأياً قال: وما هو؟ قال: إعلم أن معه سفناً من النحاس على ظهور الإبل يقصد بها القوم والصواب أن أسير معك كما تقول وأكثر أصحابي على البعد يميناً وشمالاً، واجعل على اليمين خمسة آلاف وعلى الشمال مثلهم، فإذا استوى الأمر وفعلت به ما ذكرت فهو الغرض، وإن لم أتمكن جئت معك إلى أن أقف على المعبر فإن السفن التي معه لا يقدر يعبر فيها إلّا فارس

واحد فإذا هو عبر أكون بجانبك فإنه يظن أني من بعض أولادك فإن قاربني ضربت عنقه وصحت: يا لثارت الحسين! فإذا رآني أولادك وسمعوا الصيحة، صاحوا من كل جانب ومكان، وأحطنا بعسكره وقتلناهم وأخذنا سلبهم قال: إفعل ما شئت أيها الأمير فإنني لك ولأمرك سامع ولكن قل لأصحابك يكونوا قريباً منك بحيث يسمعون صوتك إذا صحت. قال: فجمع إبراهيم أصحابه وأوصاهم أن يمكثوا بالقرب من المعبر، ويكون لهم طلائع يعرفون بها بعضهم. ففعلوا ذلك. قال: وسار بهم إبراهيم مع صاحب القلعة وأولاده إلى ابن زياد يقول له: أقبل إليّ وحدك فإنّ جيش إبراهيم قد نزل قريباً منا ومعه حنظلة وأولاده وسائر دولته. فمضى الغلام إلى عسكر ابن زياد وقصد خيمته، ودخل عليه وقبّل الأرض بين يديه وعرفه ما قال أبوه فلما سمع ذلك انقلبت عيناه في أم رأسه. وخاف على أولاده وماله وحريمه. فأمر بفرس فقدمت إليه وتقلد بسيفه وركبها، وهو فزع مما سمعه. وسار مع الغلام قاصداً إلى الخيمة، وبين يديه عبده ومعه شمعة فلم يزل سائراً حتى ورد الخيمة فلما رآه صاحب القلعة قام له هو وأولاده وجعلوا يقبّلون يديه إلّا إبراهيم فجعل يحدّ النظر إليه، ثم نزل عن فرسه ودخل الخيمة وجلس وجلسوا. ثم قال لصاحب القلعة: ما هذا الخبر؟ فقال له: هو حق أيها الأمير. قال إبراهيم: وجعل يحدثه ويشاغله ويشير إليّ بضرب عنقه فجعلت أفكر في ضيق الخيمة، وطول باعي وعدم تمكني من الضرب، وهو يطيل النظر إليّ وسيفه بين يديه، ولست آمن أن يصيح ويمانع عن نفسه. ثم طال ذلك عليه، وأنا مطرق إلى الأرض، متفكر في أمري. فقال ابن زياد لصاحب القلعة: إذا كان إبراهيم قد أقبل هو وحنظلة فما لي إلّا أن أسير إليه قبل أن يفعل ما بدا له قال له: إفعل ما

تريد، وها أنا أمامك فنهض وركب فرسه ورجع إلى عسكره. فأقبل صاحب القلعة عليّ، وقال: ما شبهت ليلتك إلّا بليلة مسلم ابن عقيل.

(قال الراوي): فقال له إبراهيم: يا أخي، لا تعجل عليّ قال: وكيف لا أعجل عليك أترجو فرصة أجود من هذه؟ فقال إبراهيم: أسكت فإني أعلم ما لا تعلم فإني تذكرت في قتله وهو جالس وسيفه بين يديه وعبده على باب الخيمة وعسكره قريب منه، فلو صاح وصاح عبده لأتتنا قومه فرأيت قتله في غير هذا الموضع أولى وأصلح، وأرجو أن لا يقتل إلّا بما أضمرت له. ثم ارتحلنا وملكنا المعبر والجسر منصوب بالأخشاب وقد تملكت سيفي.

(قال الراوي): هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر ابن زياد فإنه أمر عسكره بالرحيل فرحلوا ولم يزالوا حتى وصلوا المعبر وساروا يعبرون الأوّل فالأوّل، وهم يتراكضون على تلك السفن النحاس حتى عبر منهم خمسون ألف فارس، ثم أقبل ابن زياد على بغلة كأنها البرج وهو في عمارية من الديباج الحرير وفيها طراحة من ديباج أحمر وقد حشيت بريش النعام وعليه قبة من الديباج ومنطقة من الذهب الأحمر مرصعة بالدرّ والجوهر تلوح حمرة الذهب مع بياض الجوهر كجمرة النيران وبين يديه ثلاثون شمعة كقامة الرجل وعن يمينه شمعتان من العنبر وعن شماله مثل ذلك، وعليه قلنسوة من ذهب وجوهر ولؤلؤ وكان يحسن في الزي واللباس.

قال إبراهيم: فلما أقبلت البغلة والخدم بين يديه يكفون الناس عن طريقه وأنا واقف في جملة الجيش على المعبر متلثماً وقد ضيقته فقالوا لي: إبتعد عن طريق الأمير فقلت: يا قوم، إنّ لي عند الأمير حاجة وما أقدر على مخاطبته إلّا هنا فتركوني وجازوا.

ابراهيم يقتل ابن زياد ويبيد جيشه

فلما أقبل ابن زياد في العمارية ناديت مستغيثاً بالله وبالأمير فأخرج رأسه لينظر من المستغيث به فضربته على أُم رأسه أحدرته إلى الأرض، وصحت: يا لثارات الحسين! فركب الناس السفن من كل جانب ومكان وقد نزل في قوم ابن زياد الضرب والطعان إلى أن ولى الليل وأقبل النهار. وقد قتل من أصحاب ابن زياد ثمانية عشر ألف فارس.

وقال صاحب القلعة قيل: أن إبراهيم عند وقوع ابن زياد كتفه وسلمه إلى رجل من أصحابه وهم محيطون به من كل جانب ومكان، وكل منهم يلعنه ويبصق في وجهه ويضربه وينادي: يا لثارات الحسين! ثم أن إبراهيم نزل هو وأصحابه ودعا بابن زياد فأوقفوه بين يديه ثم أمر بتقييده وتغليله وإضرام النار حوله، ففعل ذلك حالاً وسريعاً امتثالاً لأمر الأمير وقد أحدق إليه أصحابه لينظروا ما يصنع به، فتقدم إبراهيم وسلّ خنجراً حجازياً لو نزل على بعير قدّه وجعل يشرح من لحمه ويشويه ويطعمه له وعيناه تنظر إليه، فإذا امتنع من الأكل نخسه بالخنجر وهكذا حتى أكل لحمه بنفسه وإبراهيم ينادي: يا لثارات الحسين! ثم لما قارب الموت ذبحه من آذن إلى أذن، واحتزّ رأسه، وأخذه ثم أمر أن يداس بأقدام الخيل، ثم يحرق ففعل به ذلك. فبعد ذلك أحضر الأسارى وكان يسأل

الرجل عما صنع في يوم قتل الحسين، فيخبره بما فعل، فمنهم من يقطع أطرافه ومنهم من يفعل به كابن زياد حتى لم يبق إلّا سبعون رجلاً من خواصّ اللعين مثل: شبث وستان ابن أنس وعمرو بن الحجاج والشمر وأمثالهم لعنهم الله. وهم الذين تولوا قتل الحسين عليه رضوان الله وسبوا حريمه، ونهبوا ماله. فأوقفهم بين يديه وقال: عليّ بخلع الديباج، فقالوا: دعنا من هذا الكلام، واصنع ما أنت صانع. فقال: أصدقوني فقالوا: نصدقك فأوّل من تقدّم للحسين خولى وعوقب ومات ثم من بعده سنان هو الذي تقدم للحسين.

فقال إبراهيم: يا ويلك! يا سنان ما صنعت يوم قتل الحسين؟ قال: تقدمت إليه وهو ملقى على ظهره فضربته. فبكى إبراهيم وقال: أما تستحي من الله!؟ ومن جدّه رسول الله!؟ ثم أضجعه على قفاه، ونهض قائماً، وأوقع الخنجر في عينيه، فشق البياض والسواد والدم يخرج على خدّيه وأمر أن تسلّ أظافره فسلّت. وتكسر يداه فكسرتا، ثم قطعهما وألقي في النار واحترق ولم يزل يسألهم واحداً بعد واحد ويصنع به أشنع مما ذكر حتى قتلهم عن آخرهم. وأخذ رؤوسهم وحشاها في الغرائر وهم عشرة الاف وقد أظهر منهم رأس ابن زياد ورؤوس السبعين، ووجههم إلى المختار، وكان يومئذ بالكوفة. وضمّ إليه الخيل والسلاح والغنائم وهي ألف بعير من الذهب والفضة ولم يزل الرسول يجدّ في المسير ومعه كتاب الأمير إبراهيم إلى المختار بشرح الحال وإبراهيم سائر بأصحابه على أثر رسوله. فما كان إلّا قليل حتى وصلت الرؤوس والغنائم والكتاب إلى الكوفة واشتهر ما فيه. ففرح الناس فرحاً شديداً ثم أورد الرسول رأس ابن زياد إلى المختار فوضعه بين يديه فبصق عليه وقال: لعن الله صاحبك. ثم أمر بخبطه في الأرض ففعل ذلك.

مروان يرسل جيشاً لحرب المختار

(قال الراوي): هذا ما كان من أمر إبراهيم وما فعل، وأما ما كان من أمر من شرد من عسكر ابن زياد فإنه لم يزل سائراً إلى أن وصل إلى مروان وأخبره بما فعل إبراهيم. فلما سمع مروان ذلك ضاقت عليه الأرض، وخرج من وقته إلى الجامع وقد أطلق النداء بجمع الناس، فاجتمعوا فقام وارتقى المنبر وقال: أيها الناس، إن الذين خرجوا مع المختار فتنوا العباد، وأفسدوا البلاد، ومن فيكم يخرج إلى الكوفة ويقتل أبطالها ويفعل بهم مثل ما فعلوا، وقد أبحته ذلك فقام إليه عامر بن ربيعة الغساني لعنه الله وقال: أنا أمضي أيها الأمير وأفعل ما أمرت به فعند ذلك ضم إليه مائة ألف فارس وأمره أن يسير إلى حرب المختار. فسار هو ومن معه وجعل يجدّ في المسير حتى وصل إلى الكوفة في مدة عشرة أيام وبرز خارجها.

(قال الراوي): هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر المختار فإنه منذ قتل ابن زياد وأصحابه صار يركب كل يوم وجيشه حوله ويخرج للنزهة. فخرج ذات يوم، فوجد رجلاً مقبلاً على نجيب يحثّ به تارة ويسعى به أخرى. فقال: عليّ بهذا. فما كان إلّا لمحة حتى مثل بين يديه فقال: من أين أقبلت وأين تريد؟ قال: أتيت من قوم سائرين خلفي

قال: أصدقني وإلّا ضربت عنقك، فقال: إعلم أني رجل من الأزد وهم من جملة عسكرك، وقد أتيت إليهم أخبرهم أن لا يقيموا في الكوفة لأن جيش مروان قد أتى لخرابها، وهم مائة ألف فارس، فلما سمع منه ذلك قال لقواده: كم في عسكري من الأزد؟ قالوا: رجل واحد قال: إئتوني به، فلما أتى قال له: هل لك في ديواني إسم؟ قال: لا قال: هل انتفعت منك بشيء؟ قال: لا قال: إلزم بيتك وإلّا فاخرج من الكوفة إلى حيث تريد. ثم أن المختار خلع على الأزدي وأعطاه مالاً كثيراً وقال: ما تريد؟ قال: أمضي إلى صاحبي عامر بن ربيعة فقال له المختار: إن سألك عامر عن عسكري ماذا تقول؟ قال: أقول معه ثلاثون ألف فارس قال: تكذب! بل قل رأيته في الحيرة ومعه أربعة عشر ألف فارس قال: حباً ثم سار حتى قدم على عامر ودخل عليه. وقال له: إعلم أنني دخلت الكوفة ورأيت المختار في الحيرة ومعه أربعة عشر ألف فارس، وقد أنعم عليَّ فقال له عامر: هل لك أن تقضيني حاجة بعشرة آلاف دينار قال: وما هي؟ قال: تمضي إلى عسكر المختار، وتوصل هذه الكتب إلى فلان وفلان حتى أحصى له أربعة وعشرين رجلاً من خواصّ المختار، وكان قد أوصاهم في الكتب على قتله. قال: أنا أخاف أن يراني حراسه فيقتلوني أو يسلموني له فيضرب عنقي. قال: أنا أحتال لك في أمر تأخذ منه الجائزة، ثم توصل الكتب إلى أربابها قال: وما هي الحيلة؟ قال: تلبس ثوبين خلقين وتمشي حافياً إلى الكوفة، فإنك تجد طلائعه يأخذونك إليه، ويوقفونك بين يديه فيقول: ما لك رجعت؟ تقول: يا سيدي، إنّ عامراً لما رأى ما أعطيته لي أخذه مني وأمر بقتلي فشفع فيّ قومه فتركوني وقد أتيت لك. فإذا سمع كلامك رثى لحالك، وخلع عليك وأمنك. فإذا اطمأننت فأرسل الكتب إلى أربابها. قال: حباً ثم أعطاه العشرة آلاف دينار، فأخذها مع ما أعطاه

له المختار، وسلمها إلى أهله ونزع ثيابه، ولبس ثياباً آخر. وسار حتى ورد الكوفة. وكان المختار قد ركب مثل عادته فنظر في البرية فوجده يهرول. فقال: عليّ بهذا فأحضروه فإذا هو الأزدي. فقال له: ما الذي نزل بك؟ فقال: أيها الأمير، إن عامراً أخذ ما أعطيتني إياه وأمر بقتلي فصفح عني فقد أتيت إليك. فلما سمع كلامه رقّ قلبه إليه وأمر له بألف درهم وثوبين وعمامة. فلما نظر الأزدي إلى إحسان المختار، قال لنفسه: الدنيا فانية، والآخرة باقية. فوالله لا أبيع الفانية بالباقية. ثم أتى إلى المختار وقال له: يا سيدي، أريد أن تخلو معي. فخرج المختار عن عسكره حتى بعد عنهم وجلسا معاً، فأخبره الأزدي بالقصة من أولها إلى آخرها وأعطاه الكتب فشكره على ذلك ثم عاد المختار بإبراهيم وحدثه بقول الأزدي. ثم قام وركب وإبراهيم عن يمينه والأزدي عن يساره، حتى أتى إلى قومه فوجد المرسل إليهم منتظرين أمر عمرو وأيديهم على قوائم سيوفهم فعند ذلك نزل المختار عن جواده وألقى سيفه وعمامته وثيابه وصار بقميص لا غير ففعل إبراهيم مثله وكذلك الأربعة وعشرون. ثم أمر المختار عبده بإحضار الأزدي وأوهمهم أنه يريد قتله، فلما حضر بين يديه وقد كان بيد المختار حربة سنانها وزن عشرين رطلاً فنظر إليه وهزّ الحربة، وقال له: سألتك بالله هل ما ذكرت حقاً؟ قال: نعم أيها الأمير فقال: أنظر ما يحصل ثم ضرب أحدهم بالحربة فأدخلها من بطنه حتى خرجت من ظهره وعطف على الثاني والثالث وهكذا حتى قتل الأربعة وعشرين عن آخرهم فقال له إبراهيم: أيها الأمير، لو كنت أبقيت منهم رجلاً لسألته عن حالهم قال إبراهيم: فتقدمت على أحدهم والروح تلوح فيه فقلت: إنّ الأمير قد ندم على قتلكم فقال: إن شاء لا يندم، فوالله لقد أردنا أن نخلط لحمه بدمه

ولكن بدأ بنا هو. ثم أن المختار دعا بالأزدي فأقامه بين يديه وأمر أن يفاض عليه المال.

فقال الأزدي: أيها الأمير، والله ما لي في المال حاجة؟ والذي تريد أن تهبه لي احمله للمدينة لورثة الحسين فهم أحق ولو كنت أريد المال لرغبت فيما أعطاني ابن زياد ولا نصحتك ثم قال: أيها الأمير. أنا أسلم إليك ابن ربيعة وتأخذه باليد قال: وكيف ذلك؟ قال: تركب معي ونسير حتى نقرب من عسكره، وأنا أسرع إليه، وأقول إني قد وصلت كتبك إلى القوم، وقد أنفذوا معي أخاً لهم ليأخذ منك عهداً وميثاقاً أنك لا تغدرهم إذا قتلوا المختار، ويريد أن يسألك عن أمور ولست أعرف ما هي فاخرج معي إليه، فإذا هو خرج وجاء إليك فأنت تأخذه باليد. فقال إبراهيم: هذا رأي لا يجيء منه شيء. كيف تمضي أيها الأمير إلى مائة ألف فارس ولا بد لهم من طلائع، ولا يأمن أن يخرج إلّا ومعه بعض خواصّه، وأنت معروف ومشهور غير خاف ولا منكور، وقد أردت أن أحتال على ابن زياد بمثل هذه الحيلة، فرأيت غيرها أصوب منها.

قال المختار: إفعل ما ترى يا أبا إسحاق قال: أيها الأمير، أريد أن تجعل الأزدي ضيفي ثلاثة أيام. قال: قد فعلت لك ذلك. فأخذ الأمير إبراهيم بيد الأزدي وخرج من حضرة المختار ومشى به إلى منزله فأمر بإحضار الطعام فأكلا وجلسا يتحدّثان فقال إبراهيم: يا أخي إن جميع ما أشرت به على الأمير صواب غير أني قلت ليس هذا رأيي، وأردت أن أمضي أنا وأنت فإن متّ أنا فالأمير عوضي وإن مات الأمير لم يكن له عوض ومن الرأي أن تمضي معي إلى ابن ربيعة ولعلك تحتال في إخراجه إلى كيف شئت فإن فعلت ذلك أعطيتك جارية يفرح بها قلبك لأني إن قتلته فلا أبالي إن قتلت بعده.

قال الأزدي: صدقت وهذا هو الري السديد. فأفعل ما تريد فإني لك تابع، ولقولك سامع، فحمد إبراهيم عند ذلك ربه المجيد، ثم انهما لبسا ثياباً خضراً وأقبل إبراهيم على عسكره وقال لهم: إن سألكم عني أحد فقولوا له: إنه خرج مع الأزدي إلى ضيافته ثم ركبا نجيبين وسارا إلى أن قربا من عسكر ابن ربيعة. فنظرت الطلائع إليهما فأحدقت بهما الخيل من كل جانب ومكان. وقالوا لهما: من أنتما؟ قال الأزدي: أنا صاحب الأمير وهم يعرفونه. قالوا: ومن هذا الذي معك؟ قال: رجل من بني عمي فعند ذلك قال إبراهيم: إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم. ثم أن الطلائع سارعت إلى ابن ربيعة وقالوا: أيها الأمير، إن الأزدي الذي أنفذته إلى المختار قد ورد ومعه رجل لسنا نعرفه، ويزعم أنه ابن عمه قال: عليّ بهما فأوقفوهما بين يديه، وكان إبراهيم ملثماً لا يبان منه غير عماليق عينيه، فلما نظره ابن ربيعة عرفه. فقال: يا ويلكم! اسفروا عن لثامه فإنه إبراهيم بن مالك الأشتر فأسفرعن لثامه فعرفوه فقال ابن ربيعة: يا ابن الأشتر، ظننت أنك لم تعرف لقد جئت الآن إلي والله لأقتلنّك قتلة يتحدثّ بها أهل المشرق والمغرب! أظننت أني بثار ابن زياد أنام! وتقول: أنا رجل من الأزد.

فقال إبراهيم: يا ملعون، سألحقك به وإن شاء اللهُ آخذ بثار الحسين منك فقال: يا غلام، عليّ بسيفي فقال إبراهيم: يا ويلك! إن تكن قتلتي على يديك ولكن أرجو الله أن يمكنني منك وأذيقك حرارة سيفي كما أذقت ابن زياد. فعند ذلك أحضر ابن ربيعة خاصّته وقال: أريد أن أقتل إبراهيم قتلة يتحدث بها في سائر الأمصار فقالوا له: إعلم أنه إبراهيم وليس المختار وليس الرأي أن تقتله بالليل فيخفى أمره فامهله إلى الغد وحزّ رأسه، وارسله إلى مروان فيفرح أعداؤه ويبكي أصدقاؤه. فلما سمع

كلام أصحابه وقع منه بموقع ثم دعا بحاجب لم يثق إلّا به وهو يبغض إبراهيم فضم إليه ألف فارس وسلم إليه إبراهيم والأزدي وقال له: احتفظ بهما فأخذهما وأدخلهما خيمته وقيّد كلاً منهما بأربع قيود. فلما هدأت العيون، وأزهرت النجوم، ولم ينم الحيّ القيوم، سمع إبراهيم صوت الأزدي وهو يبكي وينتحب فقال: ما بكاؤك يا أخي؟ قال: وكيف لا أبكي وأنا غداً مقتول! فقال: ألست تعلم أننا إذا قتلنا نلحق بالحسين!؟ أما ترى من يكون أسوة بولد فاطمة!؟ وكان الحاجب الذي أقامه ابن ربيعة يسمع كلامهما فاقشعر جلده، وخشع قلبه. وقال: يا نفس أيّ عذر لك عند الله وعند رسوله فوالله لأطلقنهما، ثم وثب قائماً على قدميه ودخل الخيمة وقال لإبراهيم: قد اقشعرّ جلدي من كلامك، وزجرني زاجر من نفسي. وأريد أن أحلكما وأُطلق سبيلكما فخذا لأنفسكما جهة. فقال: إن فعلت ذلك فلنفسك تمهد عند الله ورسوله. فعمد الحاجب إليهما وحلهما ودفع إلى إبراهيم سيفاً والأزدي عاموداً فجعلا يتخطيان رقاب المتوكلين بهم حتى خرجوا فقال إبراهيم للأزدي: أنت أعرف مني بهذا الطريق وإن القوم لا بد أن يخرجوا في طلبنا فإذا رأيت ذلك فغص أنت في الرمل ثم إن إبراهيم اقتحم الخلاء وقد صبر الحاجب قليلاً حتى بعدوا وصاح ومزق ثيابه فانتبه الناس وركب ابن ربيعة وفي وسطه منديل، وبيده سيف مسلول، وتبعه العسكر.

قال إبراهيم: لما سمعت الزعقات قلت في نفسي إلى أين أذهب؟ فبينما أنا أفكر، إذ لاحت لي شجرة فقصدتها وصعدتها واستترت بأغصانها وقد طلع النهار، وطار الغبار، والقوم يطلبونني والأزدي وقد أخذت كل فرقة منهم طريقاً حتى حميت الشمس، واشتدّ بهم العطش، وأنا جالس أسبح الله، وقد حجبت عنهم فبينما هم كذلك وإذا بفارس أقبل

وهو يركض نحو الشجرة، فلما رأيته فزعت منه وقلت: إن في أثره عسكراً ولكن أقاتل بهذا السيف وقد وثبت قائماً والسيف بيدي، فلما قرب مني تأملته، فإذا هو عدوّ الله ابن ربيعة، فحمدت الله وقلت: قد مكّنني الله منه فأقبل حتى وقف تحت الشجرة وعيناه تنظر يميناً وشمالاً فلم ير من أصحابه أحداً، وقد أدار فرسه إلى أصل الشجرة. فوثبت كالريح، وضربت يدي في أطواقه، وجذبته إلى الأرض، ووضعت سيفي على نحره فقال: من أنت؟ أنا ابن ربيعة فقلت: وأنا إبراهيم يا ويلك! أخذتني البارحة وتنكرني اليوم أظننت أن الله يفوته هارب، ثم حززت رأسه وأنا أنادي: يا لثارات الحسين! واستويت على جواده والرأس معي وأطلقت عنانه، فأتيت الكوفة. وكان هذا رابع يوم وقد خرج المختار في طلبي، فلما رآني، قال: أين كنت منذ أربعة أيام؟ قلت: في عسكر ابن ربيعة وهذه رأسه ثم ألقيته بين يديه، وحدثته بجميع ما جرى. قال: وما فعل الأزدي؟ قلت: غاص في الرمل، ولا أدري ما كان منه.

المختار يهزم جيش مروان بن الحكم

ثم قلت: أيها الأمير، إلحق القوم فإنك تملكهم عن آخرهم فأمر العسكر بالرحيل، وهم يومئذ إثنا عشر ألف فارس. وجعلوا يجدّون السير حتى لحقوا بعسكر اللعين. ونادوا: يا لثارات الحسين بن علي! فما كانت إلّا ساعة حتى انكسر عسكر ابن مروان وأخذ السيف يتحكم فيهم من نحو خمسين ميلاً حتى قتل من قتل، وأسر من أسر. ثم جمعوا الغنائم، ثم أمرهم المختار بحزّ رؤوس الأسارى، وإشهارها على الرماح، ففعلوا ذلك وعادوا إلى الكوفة فرحين مسرورين، وهم ينادون: يا لثارات الحسين! ثم أقام المختار ما شاء الله حتى مات. ولم يرفع الله لبني أُمية راية أبداً إلى يومنا هذا! والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب. وصلى الله وسلم على النبي الأوّاب، وعلى آله وسائر الأصحاب. آمين. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله طبع هذا الكتاب المشتمل على ما به عبرة لأولي الألباب بالمطبعة الميمونة الشرفية التي هي من أجلّ المطابع المصرية، أواخر ربيع الأوّل من عام ١٢٩٨ ثمان وتسعين ومائتين بعد الألف من هجرة من خلق على أكمل وصف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والناسجين على منواله ما سجعت الحمائم ونفعت التمائم.

الفهرس